



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شعارنا الوحدة إلى الإسلام من جديد



البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامحة

فبراير ٢٠١٦

جمادى الأولى ١٤٣٧ هـ

February 2016

العدد التاسع - المجلد الحادي والستون

أسئلها

فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى
في عام ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعید الأعظمي الندوی
واضح رشید الندوی

مساعداً التحرير:

محمد فرمان الندوی
محمد عبد الله الندوی

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والتصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بان العلوم الإسلامية علوم حية ذاتية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزداد فيه، ويحذف منه بحسب تطورات العصر، و حاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد ابوالحسن علي الحسني الندوی (رحمه الله)

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصدقة والنشر

ص.ب. ٩٣ - لكناو (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٣١ - ٢٧٤١٢٢١ - ٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg,

Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9889336348 E-mail:nadwa@sancharnet.in

محتويات العدد

العدد التاسع - المجلد الحادي والستون - جمادى الأولى ١٤٣٧ هـ - فبراير ٢٠١٦ م

<p>٣ سعيد الأعظمي الندوى</p> <p>٨ العلامة الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوى</p> <p>٢١ د/ راشد عبدالله الفرحان</p> <p>٢٤ العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوى</p> <p>٣٢ الإمام الداعية الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي</p> <p>٣٨ التوجيه القرآني والهدي المحمدي تجاه مسؤولية المربين الشیخ الطاهر بدبو</p> <p>٤٣ القرآن العظيم والأراضي المكونية حقيقة طبيعية مدحشة الأستاذ سعيد الرحمن بن شهاب الدين الندوى</p> <p>٥١ الأستاذ قاسم علي سعد</p> <p>٥٧ العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوى</p> <p>٦٦ الدكتور معراج احمد مراج الندوى</p> <p>٧٥ د. سعيد بن مخاشن</p> <p>٨٦ عبد القادر دامولا الكاشغري رائد الصحوة الإسلامية ... الأستاذ وسيم احمد الندوى</p> <p>٩٠ إسهامات اللغة العربية والإنجليزية في مجالات الثقافة الأستاذ مرتضى شكيل ث. كداميري</p> <p>٩٣ الأخ طارق الأكرمي الندوى</p> <p>٩٤ محمد فرمان الندوى</p> <p>٩٦ قلم التحرير</p> <p>٢٧ " "</p> <p>٩٨ " "</p> <p>٩٨ " "</p> <p>٩٩ " "</p> <p>١٠٤ " "</p>	<p>١ أولياء الطاغوت والإفساد في الأرض</p> <p>٢ التوجيه الإسلامي :</p> <p>٣ مهمة التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية.....</p> <p>٤ البلاغة والإعراب والبيان في القرآن الكريم</p> <p>٥ النهج النبوي في الإصلاح والدعوة</p> <p>٦ الدعوة الإسلامية :</p> <p>٧ شوأنا إلى الصلاة</p> <p>٨ التوجيه القرآني والهدي المحمدي تجاه مسؤولية المربين الشیخ الطاهر بدبو</p> <p>٩ القرآن العظيم والأراضي المكونية حقيقة طبيعية مدحشة الأستاذ سعيد الرحمن بن شهاب الدين الندوى</p> <p>١٠ من شواهد الطبع على إحكام الحديث وإعجازه</p> <p>١١ دراسات وأبحاث :</p> <p>١٢ أئم جزيرة العرب وقبائلها</p> <p>١٣ حركة الشعر الحر في الأدب العربي الحديث</p> <p>١٤ مسيرة المؤسسات التعليمية في النهضة الأدبية</p> <p>١٥ عبد القادر دامولا الكاشغري رائد الصحوة الإسلامية ... الأستاذ وسيم احمد الندوى</p> <p>١٦ في الشعر والأدب</p> <p>١٧ في مدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم</p> <p>١٨ إلى الإسلام من جديد :</p> <p>١٩ ادخلوا في السلم كافة</p> <p>٢٠ إلى رحمة الله تعالى :</p> <p>٢١ ١. المحامي عبد الرحيم القرشي في ذمة الله تعالى</p> <p>٢٢ ٢. فضيلة الشيخ عبد الله المدنى إلى رحمة الله تعالى</p> <p>٢٣ ٣. العلامة إسحاق بتي في ذمة الله تعالى</p> <p>٢٤ ٤. السيد محمد علي جعفرى إلى رحمة الله تعالى</p> <p>٢٥ ٥. الدكتورة السيدة عطية بنت خليل في ذمة الله تعالى</p> <p>٢٦ ٦. وفاة ابنة فضيلة الشيخ المفتى محمد ظهور الندوى</p>
---	--

أولياء الطاغوت والآفساد في الأرض !

هناك أدوات كثيرة تُعاني منها المجتمعات البشرية اليوم ، ومعظمها أمراض خلقية ونفسانية أنتجتها انحرافات في البحث عن المسار الصحيح للحياة ، أو أخطاء في تعين الهدف الإيجابي السليم الذي ينبغي أن يسعى المرء لتحقيقه بالعوامل الفردية والجماعية والترابط الإنساني الذي يقوم على أساس طبيعي وبنية صالحة بعيدة عن النفعية والأثرة وفقدان النصح الذي يعتبر قاعدة التواصل الحضاري الأصيل ، ومعلوم أن الإنسان لا يستغني عن حياة اجتماعية يتداول فيها الناس القدرات والكافئات ، ويستفيدون من تبادل التجارب في بناء المستقبل اللائق ، وهي ضرورة أكيدة في جميع المجتمعات الإنسانية على اختلاف الديار والأمصار ، وقد دامت بذلك الفلسفات الحضارية القديمة كلها ، وإن كانت الأغراض تختلف وتتصادم بعض الأحيان ، ولكنها ألت على إدراكيها الصحيح واعتبرتها ركيزة الانطلاق نحو العيش الرغيد ، فلم تقتصر في توزيع الإنسان بين خلاياها كثيرة من الطبقات العالية والسفالة ووضع قلادة العبودية في أعناق بعض الطبقات ، ورفع البعض الآخر إلى آخر درجة من العزة والكرامة ، كما شهد بذلك تاريخ الحضارات الإغريقية والحضارات الرومية واليونانية ، حيث كان الإنسان يوزن بميزان مادي بحث .

إلا أن هذه الفلسفات الجائرة الزائفة لم تحدث تغييرًا في المسار الذي كان متعرضاً لدى المجموعات البشرية ، ولا أنت بشمار جنية للمدنية الصالحة التي توفر للناس ملجاً عز وسعادة وخير ، ومركزاً للحب والأخوة والسلام ، مما يجعله المرء منصة للدعوة إلى بناء الحياة والمجتمع على قاعدة التناصح والعمل الإيجابي الذي يكون فيه وقاية من كل النشاطات السلبية التي تعكر صفو الحياة وتصيب المجتمع بأضرار بالغة

من الأمراض الخلقية التي توسيع نطاق الخلافات والعداوات التي مرت بها المجتمعات البشرية أيام الحضارات البائدة والجاهليات التي عاشتها الأمة الجاهلية في الجزيرة العربية قبل بزوغ شمس الإسلام المشرقة .

أنتج ذلك الوضع المخيف من الصلف والغرور في مقاييس العزة والشرف ، وانتهت القيم العالمية التي تورث المثالية الاجتماعية وتبعث الشعور بالسعادة في النفوس وترفع مكانة أفراد النوع البشري في الكائنات بكمالها بإزاء أجناس أخرى من الخلق ، وبذلك يسود الأمن والسلام والحب والتوئام بين الناس من غير التميزات المزعومة والفوارق الجنسية والقومية التي تبنتها المجموعات البشرية ، ومن غير وعي بالمساواة التي أكرم الله تعالى بها جميع بنى آدم في هذا العالم رغم اختلاف الشعوب والقبائل التي جعلها الله سبحانه وتعالى للتعرف فيما بينهم (يا أيها النّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَّأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَّقَبَائِلَ لِتَعْارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ) . (الحجرات : ١٣)

ولما تناهى بنو آدم هذه الشهادة السماوية وأنشأوا مقاييس كاذبة من حب الذات ، ومن العز والذل ، والخير والشر ، والكفر والإيمان ، والعدل والظلم ، ظهر في أرض الله تعالى ألوان من الفساد ، وسعى الناس لكي يفسدوا فيها ، ويتكابروا في تثبت دعائم الشرف لأنفسهم ولأهلهم ، وتأخذهم العزة بالإثم كما قد صرخ بذلك الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة من كتابه فقال : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشَهِّدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُ الْخَصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهُلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ أَتَقِنَ اللَّهَ أَخْدَثَهُ الْهُرَزَ بِالْإِثْمِ فَخَسِبَهُ جَهَنَّمَ وَلَبَثَسَ لِمَهَادُ) (البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٦)

في عالمنا اليوم صراع شديد في التسابق بين عمليات الإفساد في الأرض وإهلاك الحرش والنسل ، فكلما تبين أثر من آثار الفساد في أي بقعة من الأرض تبعتها آثار أكبر وأشد من سابقها في عدد من بلدان العالم الإسلامي ، وقامت مسرحيات ينسج على منوالها ما يكون أسفك منها للدم الإنساني الذي يهراق ويحرق بسخاء ومن غير رحمة وهوادة بل

بغية من القسوة والشناعة ، تمطر القنابل السامة على العمران وتتسحق الدبابات الأجسام البريئة وتطرد السكان من بيوتهم يتبعون على الطرقات والصحاري ولا يجدون ملجاً في أي مكان فيها جردون إلى ديار الكفر وببلاد الأعداء ويعبرون الأنهر والبحار ويركبون السفن للانتقال من بلاد الفساد وسفك الماء إلى بلد آمن يتوقعون أن ينالوا فيه ملجاً ومسكناً ولكن هيئات ، فإن معظم السفن تغرق بكثرة ركابها وأكثر البلدان تطردهم من الدخول والإقامة ، وإن كان بعض الدول المسلمة توفر لهم ملجاً وتنسب لهم بدافع من الأخوة الإيمانية وتقبل منهم عدداً كبيراً كما كان في المملكة العربية السعودية حيث يعيش عدد كبير من المهاجرين من سوريا والعراق ، يبلغون الملايين ، وكما في تركيا الإسلامية جمع حاشد من المهاجرين السوريين وال العراقيين .

إن مجرد هذا الوضع الشائن في عالمنا الإسلامي بعث أسف وأسى بالغين ، وليس هناك من يصد هذه المصائب ويواجهها بالشجاعة والجرأة الإيمانية سوى الحكماء من بلدان المقدسات الإسلامية والبطولات الإيمانية التي تعتبر مأزر الإسلام والمسلمين ، وهم الذين يقدرون على تغيير وجوه الفساد في الأرض ، وإعادة الثقة بالدين الحنيف وتاريخ الإسلام المشرق الحقيقي إلى قلوب الناس من الشباب والفتیان والى رموز الاهتمامات بالدعوة إلى الله تعالى وشرعيته الباقة الدائمة ، ولكن هناك عدداً كبيراً من يتولون الإفساد في الأرض ولا يتلاؤن شيئاً في الاعتداءات على الآمنين وانتهاك حرمات المؤمنين وسفك دماء الأبرياء المسلمين ، وبيدو أن الدول الغربية قائمة على قدم وساق للقضاء على كل ما ينتمي إلى الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض وغاريبها ، ولها عملاء ووكلاء مخلصون لتنفيذ التعليمات الإجرامية ضد المسلمين ومنشآتهم ومنظماتهم البناءة الإيجابية . وما يحدث اليوم في الشرق الأوسط وفي عدد من الدول المسلمة ضد المصالح الإنسانية من اعتداءات صارخة وخرق للقوانين الدولية لم يعد خافياً على العالم ، وقد نشرت الجرائد ووكالة الأنباء العالمية أخبار إحراق السفارات ونهب الممتلكات والمحويات من

المقررات الدبلوماسية في بعض دول الشرق العربي والفارسي ، مما يهدد القوانين الأممية التي وافقت عليها الأمم المتحدة ، وهي كارثة تكفي لتوتير العلاقات بين البلدان والدول العالمية وكأنها دوس للكرامات وإهانة للمواصفات الأخلاقية ، الأمر الذي يهدد النظام العالمي بخطر كبير وشر مستطير .

مثل هذه المواقف السلبية التي تقفها أي دولة كانت تتمتع بالثقة والاحترام من خلال إنجازاتها العامة ، ثُفقد她 حق البقاء الصالح فضلاً عن قيادة أخواتها وصديقاتها ، وتحرمتها من توفير شهادة التعايش السلمي وأداء حقوق الجارات التي لها دور كبير في تعميم السلام العالمي ونشر مناخ الحب والأمن بين الأمم والشعوب ، وبذلك يشهد تاريخ الدول التي عُرفت بالمحافظة على القيم الإنسانية في كل مجال من مجالات الحياة ، ولم تتجاوز حدود التناصح والتصالح في أي فترة من تاريخها .

أما ما يحدث اليوم على الساحة العالمية من السباق الجريء في التصنيع من كل نوع حتى في تصنيع الأسلحة الفتاكـة وإنشاء مصانع القنابل والصواريخ ذات التأثير السريع ، وفي شراء كميات هائلة من الأسلحة المدمرة وإدھاش مناطق آمنة مطمئنة وتخويفها بالجمـات المفاجئة ، فلا ريب أنه عمل غير طبيعي وغير شرعي وليس له مبرر ما لم يكن هناك ما يحتم من الإعداد الحربي دفاعاً عن الدين أو العرض أو الحرمـات الإنسانية ، ولكن الذي يجري اليوم في دول العالم الإسلامي من خلال الدول الكبرى العالمية ، وبواسطة العملاـء المـأجورـين من تدميرات وتشريدات ، ومن انتهاـبات للأرواح والأموال ، وإمطار القنابل والقذائف على الرجال والنساء ، والشيخوخـ والشباب والأطفال ، وتدميرـ البلاد وتخريبـ العمـران ، وفرضـ المـهاجرـة والـفرـارـ من أرضـ الوطنـ إلى أراضـ مجـهـولةـ ومنـاطـقـ أجـنبـيةـ لاـ تـكـادـ تـقطـيـ عـدـداـ مـحـدـودـاـ منـ الفـارـينـ والـلـاجـئـينـ إـلـيـهاـ ، فـضـلـاـ عـنـ أـعـدـادـ هـائـلـةـ مـنـهـمـ ، وـمـنـ لـاـ يـدـرـيـ تـقـانـيـهـمـ فيـ الصـحـارـيـ وـغـرـقـهـمـ فيـ الـبـحـارـ ، وـمـاـ إـلـىـ ذـلـكـ .

كل هذه الأحداث لا عبرة بها لبى الحيوانات والبهائم فضلاً عن الحيوان العاقل والإنسان الناطق ، إنها جريمة لا غفران لها ، وكبيرة متعمدة لا يرتكبها إلا من تلقت فطرته بالأقدار ، وتبدل بالرذائل والخبايث التي لا يقرها من كان في قلبه ذرة من الإنسانية ، وما يجري اليوم في فلسطين والمسجد الأقصى مع أهلهَا وسكانها من جرائم وحشية من الصهابينة وال مجرمين الوحش ، وما يلاحقها من خرق الكرامات ، وانتهاك الحرمات ، وتدنيس الأقصى المبارك والمحاولات الجادة المستمرة لهم القبلة الأولى ، إنما تقشعر منها الجلد بمجرد تصورها ، وكيف يقتل الآن الصبيان والشباب والنساء والرجال في هذه الأرض المقدسة ، لا نكاد نقيس ذلك ونقدره من بعيد .

إنها مشكلة الفساد في الأرض ، وهل يتولاها اليوم إلا أعداء الإسلام والمسلمين ، من الغرب والشرق وهي من قضايا السياسة الرخيصة ومن نتاج النوايا الفاسدة ، كما أنها أزمة إيمان وأخلاق ومن نماذج الابتعاد عن دين الله تعالى ، وعدم الالتجاء إليه بصالح الأعمال ، والاستغناء عن النصر السماوي والاعتماد على أتفه الأساليب ، والفرار عن النور والتيه في الظلمات ، ولنقرأ ما أعلنه رب السماوات والأرض في كتابه العظيم مدوياً مجلجاً فقال :

(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (سورة البقرة / الآية ٢٥٧) .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوبي

١٤٣٧/٤/٠٢ هـ

٢٠١٦/٠١/١٣ م

مهمة التربية والتعليم

في المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية*

بقلم: العلامة الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي (رحمه الله تعالى)

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف المرسلين وختام النبيين محمد وآلـه وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد فأيها السادة :

إنـي أـشـكـرـكـمـ منـ أـعـماـقـ قـلـبـيـ عـلـىـ هـذـهـ الفـرـصـةـ الـكـرـيمـةـ الـتـيـ اـتـحـثـمـوـهـاـ لـيـ لـتـحـدـثـ فـيـ مـوـضـوـعـ التـرـبـيـةـ وـالـتـعـلـيـمـ فـيـ هـذـهـ الـبـلـادـ الـمـقـدـسـةـ ،ـ وـعـلـىـ هـذـهـ الثـقـةـ الـفـالـيـةـ الـتـيـ وـضـعـتـمـوـهـاـ فـيـ شـخـصـيـ الـحـقـيرـ ،ـ وـذـلـكـ إـنـ دـلـ علىـ رـحـابـةـ صـدـورـكـمـ وـسـعـةـ قـلـوبـكـمـ وـشـدـةـ عـنـايـتـكـمـ بـالـمـوـضـوـعـ وـإـيمـانـكـمـ بـقـيـمةـ الـتـعـلـيـمـ النـبـوـيـ الـقـائـلـ (ـالـحـكـمـةـ ضـالـةـ الـمـؤـمـنـ فـحـيـثـ وـجـدـهـاـ فـهـوـ أـحـقـ بـهـاـ)ـ فـإـنـهـ يـدـلـ كـذـلـكـ عـلـىـ وـجـهـةـ نـظـرـكـمـ إـلـىـ هـذـاـ الـبـلـدـ وـاعـتـباـرـهـ الـوـطـنـ الـإـسـلـامـيـ الـأـوـلـ لـلـمـسـلـمـيـنـ ،ـ الـذـيـ يـتـحـتـمـ عـلـىـ كـلـ مـسـلـمـ الـاـهـتـمـامـ بـشـئـونـهـ وـبـذـلـ أـفـضـلـ مـاـ عـنـهـ مـنـ عـلـمـ وـتـجـرـيـةـ وـتـفـكـيرـ ،ـ وـاعـتـصـارـ أـحـبـ مـاـ عـنـهـ مـنـ عـقـلـ وـقـلـبـ وـضـمـيرـ .ـ

إنـيـ فيـ هـذـهـ المـوـقـعـ الشـرـيفـ الـذـيـ أـقـفـهـ الـآنـ أـوـاجـهـ صـرـاعـاـ نـفـسـيـاـ ،ـ فـإـنـهـ يـجـاذـبـنـيـ عـامـلـانـ مـتـاقـضـانـ قـوـيـانـ ،ـ أـمـاـ الـعـاـمـلـ الـأـوـلـ فـهـوـ عـاـمـلـ السـرـورـ وـالـإـعـجـابـ ،ـ وـالـتـقـدـيرـ وـالـاعـتـرـافـ ذـلـكـ لـأـنـيـ إـذـ نـظـرـتـ إـلـىـ الشـبـكـةـ الـدـقـيقـةـ الـوـاسـعـةـ مـنـ الـكـلـيـاتـ وـالـثـانـيـاتـ وـالـمـارـسـ الـابـدـائـيـةـ الـتـيـ مـدـتـ عـلـىـ هـذـهـ الـجـزـيرـةـ الـمـتـرـامـيـةـ الـأـطـرافـ ،ـ وـالـتـيـ لـمـ يـفـلـتـ مـنـهـاـ مـدـيـنـةـ كـبـيرـةـ وـلـاـ قـرـيـةـ صـغـيرـةـ ،ـ وـإـذـ نـظـرـتـ إـلـىـ هـذـهـ الـمـواـزـنـةـ الـضـخـمـةـ الـهـائـلـةـ الـتـيـ خـصـصـتـ لـنـشـرـ الـتـعـلـيـمـ وـالـثـقـافـةـ فـيـ هـذـهـ الـمـلـكـةـ ،ـ وـالـتـيـ يـحـقـ لـكـلـ حـكـمـةـ رـاقـيـةـ عـصـرـيةـ أـنـ تـقـتـخـرـ بـهـاـ ،ـ وـإـذـ نـظـرـتـ إـلـىـ عـدـدـ الـأـسـاتـذـةـ وـالـمـعـلـمـيـنـ الـذـيـنـ جـلـبـوـاـ وـلـاـ يـزـالـوـنـ يـجـلـبـوـنـ مـنـ الـخـارـجـ ،ـ وـيـتـمـعـونـ مـنـ وزـارـةـ الـمـعـارـفـ وـمـنـ المـشـرـفـ عـلـيـهـاـ الـوزـيرـ الـعـالـمـ بـكـلـ تـقـدـيرـ وـاحـتـرامـ ،ـ وـمـاـ يـمـتـعـ بـهـ الطـالـبـ السـعـودـيـ فـيـ كـلـ مـرـحلـةـ مـنـ مـراـحـلـ الـتـعـلـيـمـ مـنـ تـسـهـيلـاتـ وـمـرـافقـ وـأـنـوـاعـ مـنـ التـشـجـيعـ ،ـ وـمـاـ يـصـحـ أـنـ

* كـتـبـهـ رـسـالـةـ شـامـلـةـ ،ـ وـأـهـدـاهـ إـلـىـ جـلـالـةـ الـمـلـكـ هـيـصـلـ رـحـمـهـ اللـهـ ،ـ أـيـامـ حـكـمـهـ عـلـىـ الـمـلـكـةـ الـعـزـيـزةـ .ـ

يسمن عطف الآباء ورعايا الأمهات ، مما يندر وجوده في كثير من الأقطار الشرقية والغربية ، وإذا رأيت كفاح المملكة - عن طريق وزارة المعارف - في محاربة الأممية ، وإذا قارنت بين عنایة حكومة الأتراك والashraf بموضوع التعليم في هذه البلاد وبين عنایة هذه الحكومة بهذا الموضوع ، وإذا قارنت بين نسبة المتعلمين في تلك الحكومات ونسبة المتعلمين في هذه الحكومة ، خمرتني موجة من السرور والإعجاب . ولم يسعني إلا الاعتراف بعظامه هذا المشروع التعليمي العملاق الذي نهضت به المملكة العربية السعودية في هذا العصر ، ووقفت أمام هذا الصرح التعليمي الهائل مشدوهاً ذاهلاً لا أملك سوى الاعتراف بالأمر الواقع ، والثناء العاطر على ولادة الأمر . ومن يرجع إليهم الفضل في تحقيق هذه المأثرة الجليلة .

إن المسافة الطويلة الشاسعة التي قطعتها المملكة العربية السعودية في مدة قصيرة في مجال التربية والتعليم وفي حقل العلم والثقافة ونشر الكتابة والقراءة في الجهل والأميدين الذين كانت تزخر بهم المدن - فضلاً عن البوادي والقرى - قبل عقود من السنين ، وإن أفواج المتخريجين في المدارس والمتعلمين في الجامعات الغربية والحاوزين منهم على شهادات عالية والمتخصصين منهم في مواد دراسية متعددة والحادقين منهم لعدة لغات أجنبية ، إن كل هذه الحقائق تثير العجب والإعجاب بما تأثر هذه الحكومة وجهود وزارة المعارف ، وهو العامل النفسي القوي الذي يملأ جوانح النفس ويوشك أن لا يدع مجالاً للتفكيير في موضوع آخر ولا يسمح إلا بالتهشيش الحارة وبالشكر الخالص .

إنني إذا وقفت في بلد قد قفز إلى الوجود في طرفة عين ، ودخل في مصاف الأمم المتقدمة بين عشية وضحاها . وانقل من طور البداوة إلى طور الحضارة من غير (ذاتية) يعتز بها ، ومن غير رسالة ينوه بها ، ومن غير عقائد ومبادئ مخصوصة يؤمن بها ويرتبط بها ارتباط الجسم بالروح واللفظ بالمعنى ، ومن غير دعوة يعرف بها وتعرف به ، ومن غير تاريخ وماض يستلهم منها المعاني الشريفة ، ويستمد منها الثقة والقوة ، لو وقفت في مثل هذا البلد الوليد الجديد الذي لا يتصل بالحياة ولا بالأمم المعاصرة ، ولا بالقضايا الإنسانية إلا عن طريق البطون والمعدات ، وعن طريق الحرف والصناعات ، وعن طريق اللهجات واللغات ، وعن طريق النقوش والكتابات ، وعن طريق

الحكومة والسفارات ، لكان هذا هو العامل الوحيد الذي يتحكم في عقليتي ويسسيطر على حديسي ، أما العامل الثاني فهو الحذر والإشراق ، وقد ظل الحب الخالص مصدر الحذر والإشراق دائمًا ، ورفاقته الفيرة في كل زمان ومكان ، وذلك أن هذه الجزيرة ذات شخصية فرضتها عليها الحكمة الإلهية قبل مئات من السنين ، واقتربت بها اقتران الطبيعة والمزاج بفرد أو جماعة ، ورفاقتها في رحلتها التاريخية الطويلة الشاقة المستقيمة الهاشمة أحياناً ، والمنعطفة الملتوية أحياناً من غير أن تفارقها أو أن تختلف عنها ، ولو فترة قصيرة من الزمان . وقد ساعدتها على ذلك جميع العوامل التاريخية والطبيعية والخلقية والاجتماعية ، وألحت على أن تحفظ بها وتستقيم عليها ، وهي ذات رسالة اختارها الله لها واختار الجزيرة لها وارتبطت مصلحة كل واحدة منها بالأخرى ، وأصبحت محاولة تجريد كل واحدة منها عن الأخرى محاولة أثيمة إجرامية ، فضلاً عن أنها محاولة غير طبيعية ومخفة دائمة .

وقد منحت هاتان الحقيقتان التاريخيتان الطبيعيتان هذه الجزيرة مركزاً رئيسياً في كل فترة من فترات التاريخ ، ووضعتها في محل القيادة والتوجيه والإشراف والحسبنة ، ورفقتها عن مستوى التقليد والاتباع ، والتمثيل والمحاكاة والتلمذة والتطفل ، ومجرد التنفيذ والتطبيق والاقتباس والتلقين ، وفرضت عليها بطبعه الحال الأصلية والاستقلال ، سواء في الأساليب المدنية ، أو المناهج التعليمية . فليست قضية هذه البلاد التعليمية من البساطة والسهولة بالمكان الذي يتصوره كثير من رجال التربية والتعليم ولا يقاس النجاح فيها والتفغل على مشاكلها بانتشار مجرد القراءة والكتابة في الجمهور ، وكثرة وجود مدارس البنين والبنات ، وفيما عدد ضخم من الثانويات والكليات ونشوء بعض الجامعات ، وكثرة عدد المتخريجين فيها ، والقادرين إلى عواصم الأرض ، للتوسيع في الدراسات العليا والعائدين منهم بنجاح باهر ، والشاغلين منهم للمراكز الإدارية والعلمية الرئيسية ، فذلك مقياس يمكن أن يكون لبلد مغمور من بلاد إفريقيا التي دخلت في حلبة المدنية المصرية حديثاً . وقد ألبى اليابان البوذى وأبى الهند البرهمية أن تتخذه المقياس الحقيقي أو الهدف الأسنى من نشر العلم والثقافة ومحاربة الأممية والجهالة ، وألحتا على أن يكون هذا التعليم وهذه الثقافة مصطبغين بصفتهم الحضارية الخاصة ، وفلسفتهم العريقة

في القدر ، خاضعين للأسس الفكرية والجذور العميقية التي تؤمنان بها وتعضان عليها بالنواخذة .

وإضافة إلى ذلك فالبلاد السوفيتية التي رفضت الأديان قاطبة ، وقطعت شوطاً بعيداً في حرية الرأي ، وشاع عنها أنها تمنح كل إنسان حق الأخذ بما يحب ويختار ، وخلعت ربقة القيود والحدود ، وحاربت فكرة تقديس جميع أفراد البشر وفيهم الأنبياء والرسل والزعماء الروحيون ، وقاده الفكر الديني وأصحاب المدارس الفكرية ، وأنكرت الاحتكار بكل أنواعه ومظاهره أن هذه البلاد لم تأخذ بمبدأ التعليم والتربية من حيث هو مبدأ إنساني عالمي وتراث بشري مشاع ، وماء صاف سائغ لا يتلون بلون ، ولم تسمح باستيراد منهج من مناهج التعليم في خارج العسكري الشيوعي ، ولا بإدخال العلوم والأداب التي نشأت في حضانة المربين البورجوازيين أو الارستقراطيين - كما تقول اللغة السوفيتية - والتي طعمت بأفكارهم ونزواتهم وطرق تفكيرهم ويخاف منها إضعاف العقيدة الشيوعية أو التشكيك فيها . إن روسيا هذه التي حملت رأية التحرر والثورة على كل تقليد وتقديس وتحديد وتقيد ، قد أخضعت جميع العلوم والأداب النظرية منها والتطبيقية حتى علوم الطبيعة والجغرافيا والتاريخ لمبادئها الشيوعية ، ولنظريات قادتها ومؤسساتها (كارل ماركس) و(أنجلس) و(لينين) وربطت بين هذه العلوم وبين أسس أولئك القادة رباطاً وثيقاً مقدساً ، تفار عليه غيره المؤمنين القدامي على عقائدهم وحرماتهم وغيره العرب الأولين على عرضهم وأهلهم ، وهم يعلنون ذلك من غير أن يأخذهم في ذلك حياء أو تردد .

نكتفي هنا بشهادة واحدة لأحد أئمة التربية في البلاد السوفيتية يقول عالم طبيعي من كبار علماء البلاد السوفيتية (M. C. Govern) إن العلم الروسي ليس قسماً من أقسام العلم العالمي ، إنه قسم منفصل قائم بذاته ، يختلف عن سائر الأقسام كل الاختلاف . فإن سمة العلم السوفياتي الأساسية أنه قائم على فلسفة واضحة متميزة ، إن التحقيقات العلمية لا تزال في حاجة إلى أساس وإن أساس علومنا الطبيعية الفلسفية المادية التي قدمها (ماركس) و(أنجلس) و(لينين) و(ستالين) ، إنما نريد أن نخوض - وفي أيدينا هذه

الفلسفة - في مفترق العلم الطبيعي العالمي ونصارع جميع التصورات الأجنبية التي تناهض فلسفتنا المادية والماركسيّة بكل حزم وقوّة .

وهكذا استطاعت أن توفق بين العلوم التي احتجت إليها والمبادئ التي آمنت بها وتجعل منها وحدة متكاملة متassقة ، ولم تترك فجوة بين الحياة التي تعيشها أو تسعى إليها وبين المبادئ التي تؤمن بها وتدعوا إليها بحماسة وقد حاربت في سبيلها حرفاً شعواء ، وسلمت بذلك من الاضطراب الفكري والقلق النفسي الذي يسود في عالم توزعه القوى المتلاصقة ويسوده النفاق والتاقض .

و كذلك البلاد الرأسمالية وإن اشتهرت في العالم بمبدأ التسامح الديني والحرية المطلقة في المذاهب والأراء ، والاستفادة من كل مصدر ومن كل إنتاج بشري في مجال العلم والتجربة ، إن هذه البلاد كذلك لا تسمح بالمواد الأجنبية والمناهج التعليمية التي تبشر بذور الشيوعية والاشتراكية المتطرفة ، و تستهزيء ب فكرة الملكية و تثمير الثروة و تظيمها على غير أسس الشيوعية الماركسية ، ولا تسمح ولا تفكّر في استيراد أقل عدد من الأساتذة من البلاد السوفيتية مهما بلغوا في البراعة والإبداع ، والتقوّق في العلوم والفنون ، ولم يقف الأمر على هذا الحد بل قد أصبح قادة التربية والتعليم في الغرب لا يرون استيراد منهج تعليمي من بلد إلى بلد ولو كانوا يلتقيان على العقيدة والفكرة الأساسية في الاجتماع والنظرية الواحدة إلى الإنسان والحياة والكون ، فلا تفكّر إنكلترا في استعارة المناهج التعليمية والنظريات التربوية من فرنسا ولا فرنسا من إنكلترا - وهو الحليفتان في الحروب والزميّلاتان في الصلاح - فضلاً عن أن تقتبسا هذه المناهج من المانيا المنافسة الدائمة لهما البغيضة القديمة إليهما .

وقد جمعت اللغة الإنجليزية والثقافة الإنجلوسكسانية والمصالح السياسية الكثيرة ، والزماللة المتكررة في حربين عالميين ، والمشاركة في الدم والنسل إلى حد كبير بين الشعب البريطاني والشعب الأميركي ، وساد في البلدين المذهب البروتستانتي فهو مذهب الأكثريّة الساحقة في هذين البلدين ، ولكن رغم هذه الالتقاءات كلها لا يرى الموجهون لسير التربية والتعليم والواضعون لسياساتها في أمريكا استيراد مناهج التعليم وموادها من بريطانيا ومن رأيهم أن النظام التعليمي ليس من البضائع التي تستورد من بلد

إلى بلد ، كالصناعات أو المواد الخام أو مرافق الحياة . يقول الأستاذ الأميركي الكبير الدكتور (Dr. J. B. Conant) في كتابه التربية والحرية (Education and Liberty) .

(إن عملية التربية ليست عملية تعاطف وبيع وشراء ، ولن يسترضي بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل ، إنما في فترات من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الإنجليزية والأوروبية إلى بلادنا الأمريكية) .

إن التربية - أيها السادة - في نظر هؤلاء القادة الذين يغارون على شخصية شعوبهم وذاتية بلادهم - لباس يفصل على قامة هذه الشعوب وملامحها القومية وتقاليدها الموروثة ، وأدابها المفضلة وأهدافها التي تعيش بها ، وتموت في سبيلها : إنه لباس يجب أن ينسجم مع أجوانها وبيئاتها التي تعيش فيها ، والآداب والعادات التي تحضنها والتاريخ الذي تفار عليه والنماذج والمثل العليا التي تعشقها وتنتفى بها . ونحن المسلمين بالأولى يتحتم علينا أن نجعل عقائدهنا التي جاءت بها النبوة الأخيرة ، والدين الذي لم تعبث به يد التحرير والمسخ ، ولم يخضع لقانون التطور والارتقاء ، كما خضعت له الديانات الأخرى وعدلتها وهذبها التجارب ، كما دل على ذلك تاريخ هذه الديانات وهي خاضعة لهذا القانون ، وهذه العوامل الإنسانية دائماً ، ولا تتمتع العقائد عندها ولا الحدود الفاصلة بين الكفر والإيمان ، والدين والزندقة ، والتمسك والتجلل بالأهمية والسلطان ، كما تتمتع عقائدهنا الدينية ، وليس لديهم بين الكفر والإيمان ما لدينا من خطوط فاصلة ، وحدود حاسمة وفارق واضح لا تسامح فيها أكبر شخصية ، ولا تراعي فيها أكبر مصلحة ، فالديانات والعقائد في أمم أخرى رقيقة مائعة أحياناً ، مبهمة غامضة أحياناً أخرى ، وكذلك الشخصية الإسلامية فإنها شخصية واضحة الملامح ، معلومة الحدود . والجزيرة العربية لا تشارك الشعوب الإسلامية في العقائد الدينية ، والشخصية الإسلامية فحسب ، بل إنها تتوء بأكبر أثقالها ، وتنهض بأعظم مسئوليتها من حيث هي الداعية الأولى لها . والمحافظة الدائمة عليها ، فهي مصدر الدعوة الإسلامية ومعقلها ومأزرها وقد جاء في حديث صحيح (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحياة إلى جرها) فنحن أولى بالغيرة على عقائدهنا الدينية ، وشخصيتنا الإسلامية

ورسالتنا الإنسانية ، في كل ما نأخذ وما نندع ، وفي كل ما نبني ونهدم ، وفي كل ما نقتبس ونتلقى ، من أي شعب وبلد في العالم ، فنحن أولى بأن نفصل لباس التربية والتعليم والمناهج الدراسية والمواد العلمية على قامتنا وأن نخضعها أكثر من أي أمة وشعب لمبادئنا ، وأهدافنا التي نعيش لها والرسالة التي أكرمنا الله بها ، وكلنا إبلاغها إلى الإنسانية كلها ، في كل عصر ، بقوله تعالى : **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَوْمِينُونَ بِاللَّهِ** " قوله " **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتُكَوِّنُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**" فيجب أن لا نتناول العلوم والأداب والمناهج التعليمية ونظريات التربية التي ظهرت في الغرب والشرق على أنها آخر ما وصل إليه العلم البشري ، وأنها شئ يتحتم على الأمم الشرقية أخذها وتطبيقه على علاقته وطبياعه ، وعلى ما التصدق به من عناصر محلية أو عوامل وقتية ، بل نأخذها على أنها تجارب بشر يخطئ ويصيّب ، ويمشي ويتعثر ، ويتصدر ويعمى ، ولا نأخذ العلوم والأداب واللغات على أنها أشياء قد بلغت نهايتها ، وختم عليها بختم لا يفضم بل نأخذها على أنها مواد خامة ، ونصنع منها ما نشاء وفق حالتنا وحاجتنا ، ونفرغها في قالبنا ، ونجردها مما اقترب بها — في غير لزوم ولا مبرر — من عوامل الإلحاد والإفساد ، والاستخفاف بالقيم الخلقية ونأخذها نقية صافية مهذبة منقحة بل نطعمها بالإيمان بالله والنظر العميق — المؤسس على الإيمان — إلى الكون ، وهكذا نجمل العلوم والدراسات كلها في غير تعسف ولا إرهاق ، وسيلة للعلم والحكمة وسييلاً إلى الإيمان والمعرفة فتكون مصداقاً لقوله تعالى : **"وَيَتَقَبَّلُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا حَنَقْتَ هَذَا بَاطِلًا"** قوله تعالى **"إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"**

إنها أعظم تجربة في العالم الإسلامي اليوم ، تقضي بها الظروف الحاضرة ، ويفرضها الصراع القائم بين العلم والدين ، وبين الطبقة المثقفة الحاكمة ، وبين الجمهوّر المؤمن السليم ، وإن هذه الجزيرة — بما هي الله لها من الأسباب وأتاح لها من الفرص وفیض لها من حکومة انبثت من دعوة دینية تدعو إلى الدين الخالص وتحکیم الكتاب والسنّة وتفتخر بالانتساب إليها — إن هذه المملكة هي خير حقل و مجال لهذه التجربة المباركة .

ولم تعد التربية والتعليم غاية في الأمم التي يلفت من الرشد

واستكملت الوعي ، وتحررت من رق العبودية والتقليد الأعمى ، بل أصبحت وسيلة ، وقد كان العالم في دور طفولته العقلية ينظر إلى أشياء كثيرة على أنها غاية وهدف ، ثم أصبح كل ذلك - مع تقدم العقل البشري والتجارب الطويلة - وسيلة لغاية ، فلا غرابة إذا كان قد نظر إلى التربية والتعليم وإلى المدارس ومراكز الثقافة والمكتبات ودور النشر باعتبارها غاية ، ولا تزال هذه العقلية الطفولية شائعة مسيطرة في الشرق ، فنحن إذا علمنا عدداً كبيراً من أفراد الشعب فمن القراءة والكتابة وإذا أنسنا عدداً من المدارس والكليات في بلد شعرنا بأننا قد أدينا الرسالة وحققنا الغاية .

ولكن الغرب الذي هام بالتعليم أكبر هم وحمل رايته خفاقة في العصر الأخير ، وشتهرت أكثر دوله وأقطاره بالعلمانية وبالحياد تارة وبالإلحاد أخرى ، لم يعد ينظر إلى النظام التعليمي وإلى المناهج التعليمية من حيث هي آلات صماء لتعليم القراءة والكتابة ونقل المعلومات بمعشرة لا تربط بينها وحدة ولا تجمع بينها غاية ولا يسيطر عليها إيمان وعقيدة ، ولا تصل الجيل الحاضر بالماضي ، والأبناء بالأباء ، بل بالعكس من ذلك أصبح ينظر إلى النظام التعليمي من حيث هو قنطرة تصل بين الحاضر والماضي ، والخلف بالسلف ، والعلومات بالمقاييس وتدعم القاعدة الموروثة بالعلم والمنطق ، والدليل والحججة ، ويعتبر هذا النظام التعليمي الذي ينفق عليه أكبر جزء من ثروته ، وأعظم قسط من مجده وأوفر نصيب من ذكائه ، عملية بناء وتكوين لا عملية هدم وتوهين ، ووسيلة ثقة بين الأفراد ورباطاً بين الجماعات لا وسيلة ثورة في الأفكار واضطراب في النفوس ، وتفكك في العرى والقوى .

وهنا ثلاثة شواهد لثلاثة من قادة التربية والتعليم وأئمة الفكر في العالم الغربي المعاصر ، يقول (سيريريسي نين Sirpercy Neinn) الذي يحتل الصدارة بين خبراء التعليم في بريطانيا في مقال له كتبه لدائرة المعارف البريطانية (لقد سلك الناس مسالك مختلفة في التعريف بالتربية ولكن الفكرة الأساسية التي تسيطر عليها جميعاً: إن التربية هي الجهد الذي يقوم به آباء شعب ورميده لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها . إن وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحية فرصة التأثير في التلميذ تلك القوى الروحية التي تتصل بنظرية الحياة ، وتربى التلميذ تربية

تمكّن من الاحتفاظ بحياة الشعب وتمديدها إلى الأمام . وإن (جون ديوي John Dewey) الذي كان تأثيره في نظام التعليم الأمريكي أكبر من تأثير أي رجل في هذا العصر ، يقول في كتابه (الديمقراطية والتربية Democracy and Education) (إن الأمة إنما تعيش بالتجدد وإن عمل التجديد يقوم على تعليم الصغار ، إن هذه الأمة بطرق متعددة تكون من الأفراد الأميين ورثة صالحين لوسائلها ، ونظرية حياتها ، وتصوّفهم في قوالب عقائدها ومناهج حياتها) ويقول البروفيسور (كلارك Prof. Clark) " مهما قيل في تفسير التربية فمما لا محيد عنه أنها سعي للاحتفاظ بنظرية سبق الإيمان بها وعليها تقوم حياة الأمة ، وجihad في سبيل تخليدتها ونقلها إلى الأجيال القادمة " .

وعلى هذه النقطة تضغط إسرائيل ضغطاً شديداً ، فهي من أشد الدول تمسكاً بمبدأ تقديم الفكرة الدينية واللغة التي تعبّر عنها وتضم ثروتها ، رغم جميع الاتجاهات التقديمية ومسايرة الدول الأوروبية الراقية وتتوفر عدد كبير من البارعين في العلوم العصرية واللغات الأجنبية ، وجاء في كتاب التربية في الشرق العربي " وضع الدكتور رودرك ماشيوز " والدكتور متى عقراوي " (إن أهم ما يسترعى الأنظار في المدارس الإسرائيلي في فلسطين أن لغة الدراسة في كافة المواد هي العربية فيما عدا اللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية ، والعنابة شديدة في جميع مراحل التعليم بالدراسة الدينية وجعل التعليم الديني أساس الصهيونية وتقدمها) .

ويفهم مما يلي هذه العبارة أن جميع أنواع المدارس الإسرائيلية أو اتجاهاتها تبعاً للأحزاب التي ينتمي إليها آباء التلاميذ - رغم اختلاف هذه الأحزاب في مثلها العليا التعليمية والدينية والسياسية - تلتقي على هذه الفكرة الأساسية وتعني عنایة خاصة بالتربية الدينية ، ويرى بعضها أن القواليد الدينية اليهودية هي النبراس الذي ينبغي أن تستهدي به نظم التعليم ويحتم بعضها على المعلمين أن يكونوا تقليديين ، أي أن يحرصوا على التقاليد اليهودية الأصولية ^١ .

وجاء في مقال (التعليم العالي في إسرائيل) في مجلة فلسطين مقتبساً من الدراسة التي قدمتها دائرة البحوث والدراسات في الهيئة العربية العليا

^١ راجع الفصل السابع عشر ، (المدارس الإسرائيلية ومناهجها) ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

للفلسطينين ما يلي : (إن سياسة التعليم العالي تهدف إلى تتميم العقيدة اليهودية والولاء لها . بالإضافة إلى الدعاية لإسرائيل وكسب الأصدقاء) وفي المقال تفاصيل هائلة عن العناية باللغة العبرية وجامعاتها وميزانيتها وتمويلها وما يبذل لها اليهود من عناء فائقة وأموال طائلة وتنظيمات دقيقة .

إذا كانت الأمم الغربية التي ضعفت صيتها بالعقيدة المسيحية وانحلت رابطتها بالقيم الخلقية التي دعت إليها تعاليم المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وساد فيها الشك والاضطراب وعدم الثقة بما يسمى حقائق ومقررات تتظر إلى نظامها التعليمي هذه النظرة الخاصة ، وستخدمه لترسيخ العقيدة وتثبيت دعائم الحياة وإنشاء الانسجام بين الفرد والجماعة ، وبين العقل والعاطفة وبين الماضي والحاضر ، فكيف بالأمة الإسلامية والبلد الإسلامي العربي الذي لم يحدث في تاريخه ما يسمى الصراع بين الكنيسة والعلم ، والدين والدولة ، ولا وجود عنده لنظرية فصل الدين عن السياسة ، وليس الدين عنده قضية شخصية والذي لم يكن في فترة من فترات التاريخ فريسة للاتحاد المتطرف ، ولا الردة الدينية الشاملة .

ثم إن الحربين العالميتين الطاحنتين اللتين قادهما الرجال الذين بلغوا ذروة العلم والثقافة أثبتتا في الماضي القريب إخفاق التعليم الراقي في تكوين الأخلاق الصالحة واحترام الإنسانية والعدل مع الأمم والشعوب الضعيفة . وإن الجذام الخلقي الذي تجلى في الشباب الجامعي في أميريكا وأوروبا وفي الهند وكثير من البلاد الشرقية ، وعبث المتعلمين بالقانون والنظام ، وانسياقهم مع رغباتهم الصبيانية وأغراضهم الخسيسة ، كل ذلك دل دلالة واضحة على أن التعليم ليس غاية في نفسه ، بل هو وسيلة قد تجح وقد تحقق ، وقد تنفع وقد تضر ، وقد تكون أداة بناء وتكون ، وقد تكون آلة هدم وتفويض ، وإنها إذا تجردت عن عناصر الحصانة الخلقية والتوجيه الصالحة وعن العقيدة السليمة وعن الواقع الخلقي والديني ، فإن ضررها أكبر من نفعها . لذلك أصبحت التربية والتعليم وفن القراءة والكتابة لا قيمة لها في ذاتها عند كثير من قادة الفكر وأئمة التربية والتعليم في العالم الغربي وأصبحت وسيلة تقوم بقيمة نتائجها وأخلاق حملتها ودورهم في تكوين المجتمع وصيانته .

إن الدعاية الجبارية التي قامت في بلادنا الشرقية ونشطت لتمجيد

التعليم وفن القراءة والكتابة بتعبير أصح ، وما ظهر من المبالغة والإسراف ، والخيال الشعري في قيمة الثقافة والتعليم العالي ، والتصوير البشع الذي صورت به الأمية في كل حال ، والازدراء والسخرية بالأفراد الذين لم تتمكنهم الفرص من تلقي التعليم الجامعي ، كل ذلك أضفى على التربية والتعليم وعلى الثقافة نوعاً من القدسية والروحانية ، وجعل الناس يفضّون النظر عن حقائق كثيرة وعن عيوب ومواضع ضعف في الطبقة المثقفة في بلادنا ، وأصبح كثير من المفرورين يفضلون المتعلّم المجرم اللئيم على الأمي المستقيم الكريم ، وفيضلون العصر الذي انتشر فيه فن القراءة والكتابة وانتشر التفسخ الخلقي ، والبلبلة الفكرية والتشكك في المقررات والمسلمات والحقائق والبدويّيات ، وتشاغل الناس فيه بأنفسهم وأولادهم فقدت الفيرة الدينية والخلقية وأصبحت المادة إله الجميع ، أصبح كثير من الناس يفضلون هذا العصر على جميع علاقته على عصر توافرت فيه جميع الفضائل الدينية والخلقية على قلة نسبة المتعلمين وندرة المثقفين ، وانحصر فن القراءة والكتابة في نطاق محدود ، وما ذلك إلا لخضوع هؤلاء لهذه الدعاية السطحية التي استخدمت لتهويب شأن التعليم والشهادات العلمية . إنه تفكير سطحي يجب أن يترفع عنه أحرار الفكر وأصحاب الرسالة والمؤمنون بقيمة الأخلاق والأعمال الصالحة والمميزون بين الوسائل والغايات .

لقد أثبت التاريخ مرّة بعد مرّة أن الشعوب التي تتحذّل الوسائل غایيات والعلوم والفنون آلة تعبد ويقوى فيها النظر والجدل على حساب الخلق والعمل ، ويكثر فيها الافتتان (بالفنون الجميلة) وتضعف فيها الإرادة وقوّة المقاومة للمغريّات ووسائل الترفية والتسلية وتضعف فيها الفيرة والحمية ، وتعشق الحياة والملذات ، وتنتشر فيها البلبلة الفكرية ، وينتشر فيها التشكيك الشامل للعقائد والأداب والاستخفاف بجميع التقاليد والعادات التي كان فيها الشيء الكثير من القوة والصلاح . ويتطاول فيها الريب إلى مصادر الدين ومراجع التاريخ وإلى الشخصيات القديمة ، والحوادث التاريخية وإلى الأعراف والعادات ، يقود هذه الحملة فيها كبار الأساتذة وحذاق الأدباء ونوابغ الباحثين وحملة الأقلام ومنشئو الصحف ، وينتشر هذا السم في كل طبقة من طبقات الأمة ويتسرّب إلى عقول الشباب ونفوسهم ، ويتفاغل في أحشائهم ، فإن هذه الأمة لا تثبت أمام أي عدو زاحف أو قوّة

مهاجمة ، ولا تثبت في معركة يوماً واحداً ، وهذه قصة اليونان وقصة الرومان وما يوم النكبة في الشرق العربي منا بعيد .

فلنكن واقعيين ولنحكم على التعليم الراقي وعلى الشقاقة الفريدة الحكم الصحيح الدقيق ، المؤسس على التجارب والحقائق ، ولا ننظر إليها كالدواء الوحيد ولا ندع لها بالمعظمة والقدس ، ولنضبطها بعناصر ومقومات تتفق معها عوامل الضرر والإفساد ، ودوعي الزيف والإلحاد والاتجاه الزائد إلى الميوعة والتخلل ، والاضطراب والتشكك في كل شيء ، ولنكيفها مع عناصر ثقافتنا وشخصيتنا الإسلامية ، وطبيعتنا العربية الشرقية ، ولنخضعها لرسالتنا العالمية الخالدة ومبادئنا ونجعلها جندًا من جنودها .

وأخيراً لا آخرًا يجب أن لا نخطو خطوة في سبيل التربية والتعليم وفي تصميم المدنية وفي سبيل أي مخططات نضعها لهذه الجزيرة حتى نعرف ونذكر أن هذه الجزيرة العربية التي نعيش فيها الآن ونتحدث عنها هي غرس محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وثمرة دعوته وجهاده ، وله وأصحابه وللمؤمنين بدعوته وحدهم الحق عليها ، فيجب أن يكون كل شيء يقوم في هذه الجزيرة - من تنظيمات وتصميمات ومخططات ومؤسسات معترفاً بهذا الحق خاصعاً لهذا الأصل ، عائشاً في هذا الظل ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حريصاً كل الحرص دقيقاً كل الدقة في أن تبقى هذه الجزيرة حصنًا حصيناً للإسلام متصلة قوية بعيدة عن كل اضطراع ديني وفوضى فكرية ، فقال : (أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب) ، وقال : (لا يجتمع في الجزيرة العربية دينان) وقد شملت هذه الوصية الحكيمية والتعليم العميق الدقيق إقصاء كل عنصر يحدث في قلعة الإسلام وعاصمة محمد عليه الصلاة والسلام الثورة والردة وعدم الثقة بفضل الإسلام ، وخلود رسالته ، وعمومها للإنسانية ، وانحصر السعادة في العمل بها والنجاة في قبولها والإيمان بها .

و (لا إكراه في الدين) وتاريخ الإسلام لا يعرف محاجم القفيش ووسائل التعذيب التي امتهنت بها القرون المظلمة في أوروبا ، ولكل واحد أن يختار لنفسه ما يحب من الآراء والنظريات ، ولكن لا يسمح بنشر الفوضى وبذر بذور الشك والضعف فقد الثقة بمبادئ وأسس الإسلام ، في هذه

الجزيرة التي هي قلب الإسلام ، ولا يوحن بنشر الدعاية للقوى المعادية والمنافسة وللمعسكرات الأجنبية في عاصمة الإسلام وفي حصن الدعوة وفي ثكنة الجيش الإسلامي ، فمن لم تطب نفسه ولم ينشر صدره لعقيدة الإسلامية ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، وإمامته الخالدة العالمية وفضل تعاليمه ، ومن آمن بالفلسفات الأجنبية ، واقتتن بها وتحمس لها فليس له محل في الحقيقة في هذه الجزيرة ، ولا يجوز أن تناح له الفرص وتهيأ له الوسائل في توجيه العقول وتربية النفوس ، ولا يصح أن تقدم له أفلاد أكباد هذه الجزيرة وخير شبابها ليصنع من هذه القطر السليمية التي هي من أكرم ذخائر العالم الإسلامي وأنفس ثرواته وأكثرها استعداداً للنبوغ ، مصنوعات لا تنسجم مع العقيدة والدعوة التي قامت عليها وعاشت لها هذه الجزيرة منذ أكثر من ألف سنة ، والتي لا يزال العالم الإسلامي متطلعاً إليها ، متشوقاً لها ، بل لا يزال العالم الإنساني كله مفتراً إليها مقدراً لها كل التقدير .

هذه خواطر ومشاعر أملأها الإخلاص لهذه الجزيرة والحب لإخواننا العرب الذي أصبح جزءاً من أجزاء الإيمان ، نابعاً من قراره الضمير والوجدان ، وإنني أطلب العفو والصفح الجميل ، إذا كان في هذه الكلمة صراحة بلغت حد المرأة وأساءت بعض الإساءة إلى شعور السادة الأجلاء الذين بذلوا جهدهم ولا يزالون في سبيل توجيه التربية ، التوجيه الإسلامي وإنهاض هذه الجزيرة علمياً وثقافياً ، ولا يدخلون في ذلك جهداً ، فالنقد سهل والعمل صعب ، والتوجيه ميسور والتطبيق عسير ، ولهم من صاحب الحديث كل احترام وتقدير واعتراف بالفضل وفي مقدمة هؤلاء السادة وعلى رأسهم الوزير الفاضل والمسلم الفيور ، الذي هو فرع تلك الدوحة الكريمة السامية التي أثمرت أعظم دعوة إلى التوحيد والدين الخالص ، في عصرنا الأخير ، والذي هيأ له عاهل هذه البلاد جلاله الملك فيصل المعظم جميع الفرص والوسائل لتحقيق الغاية النبيلة ، ونشر التعليم الصحيح ، ووضع فيه ثقته الفالية .

نسأل الله جاحدين مخلصين أن يبارك هذه المساعي وي Siddد الخطى ، ويحقق المقاصد والأمال ، وتعيش هذه البلاد دائماً في ظل الإيمان والإسلام والأمن والسلام .



البلاغة والإعراب والبيان في القرآن الكريم

بقلم: معالي الشيخ الدكتور راشد عبدالله الفرحان*

(هذا المقال في الواقع مقدمة لكتاب الله معالي الشيخ د / راشد عبدالله الفرحان (وزير الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت سابقاً) ، واسم هذا الكتاب (البلاغة والإعراب والبيان في القرآن الكريم) ، تنشره إفادة لقراء الكريم ، ومع شكر المؤلف الحليل (التحرير))

الحمد لله الذي يستعان به ، وبه تم الصالحات ، والصلة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، الذين حفظوا كتاب الله وحملوه للعالم ، ونقلوه لنا في صدورهم نقينا من معدنه ، عريباً لا عوج فيه ولا أمتا ، وبعد : فقد أعجز هذا القرآن صناديد المشركين ، وفصحاء العرب وبلفاءهم ، فلم يأتوا بمثله ، وهم أهل البلاغة والفصاحة ، وأرباب البيان والكلام ، أعجزهم القرآن ، لا بما تضمنه من إعجاز علمي وكوني ، وطبي ، وزراعية وصناعة ، وكشف ما في النقوس ، وأخبار وقصص وتاريخ الماضين فحسب ، ولكن بما تضمنه من أساليب عربية ، وفصاحة وبلاغة وبيان ، وهذا ما سوف نتناوله في هذا الكتاب ، وما نود الإشارة إليه ، في هذه المقدمة ، والتركيز عليه ، لأنه هو موضوع الكتاب بعد الإعراب الذي هو من العلوم الهمامة ، التي لا يستطيع الاستغناء عنه متعلم القرآن ، وأود أن أنبأ بأن موضوع الكتاب هو تناول المختصر في الإعراب أو الضروري اللازم ، والثاني : البلاغة من الناحية الفنية في القرآن الكريم ، والثالث : هو أسرار البيان الذي تضمنته آيات القرآن الكريم .

أما الإعراب فلم يعرف العرب قبل الإسلام النحو وقواعديه إلا بعد نزول القرآن ، واكتتماله في القرن الثاني للهجرة ، والقرآن هو المصدر الأول للاحتجاج بقواعد النحو لدى العلماء المختصين ، فلا يجوز أن يأتي أحد ، ويقول : إن في القرآن لحننا بمعنى مخالفة القواعد النحوية ، وهذا الموضوع ردتنا عليه في كل موضع ، قيل : فيه لحن ، وأجبنا عليه في كل آية تكلم النحاة فيها ، ذلك أن العرب الذين أنزل القرآن عليهم آية آية ، والذين فهموه ككلمة ، والذين يفهمون معنى كلمة : لحن يلحن لحننا ، بمعناها الواسع ، أم نجدتهم انتقدوا من القرآن بعض آياته بالخروج عن قواعدهم وأسلوبهم ، بل إننا وجدنا في شواهد شعرهم ونشرهم وفي لهجاتهم ولغاتهم ما يؤيد ما جاء به القرآن ، مما خالف القواعد المستحدثة ، ويا سبحان الله ، كيف يعقب البشر على كلام رب العالمين ؟ إنه لنقص في الأفهام ، وضعف في العقول ، وحتى لا

* وزير الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت سابقاً

**نطـيلـ الـكـلامـ فيـ أـمـورـ وـاضـحةـ اـقـتـصـرـناـ عـلـىـ المـهـمـ وـماـ خـفـيـ مـنـ الإـعـرـابـ الـذـيـ يـسـاعـدـ فيـ فـهـمـ الـآـيـاتـ .
المـقـدـمةـ :**

أما البلاغة فالعرب الأوائل هم أربابها و أصحابها ، خطبهم وأشعارهم كلها تتطق بذلك ، ولذلك جاءهم القرآن بما يفهمون ، وتحداهم بما يعلمون . سوف يجد القارئ كل الأغراض والأدوات التي استعملها العرب موجودة في القرآن الكريم ، الاستعارة والكلنائية والمجاز ، والتقديم والتأخير ، والحدف والتقدير ، والتعبير بالواحد عن الجمع ، وبالجمع عن الواحد ، والتوكيد والاستههام والتقرير بصورة التكرار ، والتشابه والاختلاف ، والإطناب والإيجاز ، حتى إنك ترى آية واحدة تفوق كلام العرب بأكثر من عشرين موضعًا أو أكثر ، وذلك ليعلموا أنه كلام رب العالمين ، فخرعوا له ساجدين .

أما البيان فهو ضروري للتوضيح . غموض كثير من الآيات ، والكشف عن أسرار كتاب الله ، وبيان ما خفي على الناس العاديين ، فلم توضع الكلمات والحرروف التي تختلف عن بعضها عبثاً ، أو للزيادة أو غيرها ، وإنما وضع كل حرف وكل كلمة في المكان المناسب والمعنى الذي يخصه ، رب حرف واحد ينقص من الكلام ، بقصد الإيجاز يذهب برونق الكلام وفصاحته ، ورب اختصار يطوي الكلام طيباً ، يزهق روحه ، ويعمي بصره ، فيفضل طريقه ، و يجعل إيجازه عياً وألفاظاً ، فهو كتاب كما وصفه رب العزة : (كتاب أحكمت آياته) .

لقد سجد للقرآن عظماء الكفار إجلالاً له وتعظيمًا ، لأنهم لم يتمالكوا أنفسهم لما سمعوا القرآن ، وخاصة عند ما سمعوا سورة يس والنجم ، جمع القرآن بين إيقاع العقول وإمتاع العواطف ، وجمع البيان والجمال ، فقال حكيم قريش عنه لما طلبوا منه أن يتهدأه ويقول مثله قال : (والله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن له شمر أعلى ، مدقق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه) . (شعب الإيمان للبيهقي)

لقد اعتنينا ببيان ختام الآيات ، فكثير منها لا يظهر لكثير من الناس تناسب آخرها مع أولها ، وهكذا سوف يجد القارئ الكثير من البلاغة والإعراب والبيان في الكتاب ، ولا أقول : إنني قد أدرك كل ما في القرآن من بيان وأسرار وبلاغة ، فهو كتاب متعدد متتنوع ، صالح لكل زمان ومكان نزل للبشر جميعاً ، ولكنني بذلت الجهد ، وما حصلت عليه من المراجع المتيسرة وهي قليلة ، والسابق له فضل على اللاحق ، والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .

سورة الفاتحة

سورة الفاتحة

١. (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)
٢. (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) الشَّاءُ الْجَمِيلُ وَالرَّضَا ، وَالْحَمْدُ أَعْمَمُ الشَّكْرِ ، وَالْحَمْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْحَمْدِ ، وَاسْمُ اللَّهِ مُنَاسِبٌ لِمَا يَجِئُ بَعْدَهُ مِمَّا يَسْتَحِقُهُ بَعْدَ تَعْظِيمِهِ ، وَرَبُّ الْعَالَمِينَ ، رَبُّ الْخَلْقِ كُلُّهُمْ مُكَلِّفُونَ وَغَيْرُ مُكَلِّفٍ ، فَكُلُّ يَعْبُدُهُ وَيَسْجُدُ لَهُ ، لَأَنَّهُ السَّيِّدُ وَالْمَوْلَى فَهُوَ رَبُّ الْإِنْسَانِ وَالْجَنِّ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْعَوَالِمِ .
٣. (رَحْمَنُ الرَّحِيمِ) صَفَّاتُهُ لِلَّهِ الْمُعْبُودِ .
٤. (مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ) قاضِي يَوْمِ الْجَزَاءِ ، وَتَخْصِيصُ ذَلِكَ الْيَوْمِ لِتَعْظِيمِ شَأنِهِ ، وَقَرْئٌ (مَلِكٌ) .
٥. (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِنُ) نَخْصُّكَ وَهُدُوكَ بِالْعِبَادَةِ ، وَمَعْنَاهَا الطَّاعَةُ وَالدُّعَاءُ ، قَدِيمُ الضَّمِيرِ لِكَوْنِ ذَكْرِهِ أَهْمَمُ مِنْ ذَكْرِ الْعِبَادَةِ^١ ، فَقَدِيمُ الْمَفْعُولِ بِهِ (إِيَّاكَ) عَلَى الْفَعْلِ ، وَالْعِبَادَةُ وَالْأَسْتَعْانَةُ مُخْتَصَانَ بِاللَّهِ تَعَالَى ، فَلَا يَعْبُدُ غَيْرَهُ وَلَا يَسْتَعْنُ إِلَّا بِهِ ، وَهَذَا نَظِيرُ قُولِهِ تَعَالَى (بِلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَاكِرِينَ) .
٦. (اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) عَدِي فَعْلُ الْهَدَايَةِ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَعْدِ^٢ بِالْحَرْفِ ، وَذَلِكَ لِيجمعُ عَدَةَ معانٍ في آنِ وَاحِدٍ ، وَالْمَرَادُ بِهذا السُّؤَالِ التَّثْبِيتُ وَالْأَسْتِدَامَةُ . جَعَلَهُ مَثَلُ (اخْتَار) وَاخْتَار مُوسَى قَوْمَهُ ، كَانَ حَقَّهُ أَنْ يَقُولَ : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِيهَا لِنَهْدِيْنَاهُمْ سَبِلَنَا) وَالْمَعْنَى طَلَبُ الْهَدَايَةِ وَهُمْ مُهَتَّدُونَ زِيَادَةُ الْهَدَايَةِ بِمَنْحِ الْإِطْلَاقِ (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادُهُمْ هُدًى) ، جَاءَ فِي هَامِشِ الزَّمِخْشِرِيِّ (لَا فَرْقَ بَيْنَ الْمُتَعَدِّيِّ بِنَفْسِهِ وَالْمُتَعَدِّيِّ بِالْحَرْفِ) .
٧. (صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) صِرَاطُ بَدْلِ عنِ الصِّرَاطِ الْأَوَّلِ ، وَلَا طَلَبَتِ الْهَدَايَةُ طَلَبَتِهَا لِلْجَمِيعِ ، وَلَا طَلَبَتِ الْاِقْتِداءُ بِالْجَمِيعِ قَلْتُ (صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) وَلَا طَلَبَتِ الْفَرَارُ مِنِ الْمُتَرَدِّيِّنِ فَرَرَتْ مِنِ الْكُلِّ فَقَلْتُ (غَيْرُ المَفْضُوبِ عَلَيْهِمْ) وَهُمْ الْيَهُودُ (وَلَا الْضَّالِّينَ) النَّصَارَى ، وَمِنْ الْمَعْنَى أَنَّ الدُّعَاءَ كُلُّمَا كَانَ أَعْمَمُ كَانَ أَقْرَبُ إِلَى الإِجَابَةِ ، (أَمِينٌ) وَمَعْنَاهَا اسْتِجْبَ . وَلَيْسَ مِنَ الفاتحةِ .

انهت سورة الفاتحة .

(وَسْتَبِعْ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ سُورَةَ الْبَقْرَةِ بِمَشِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى)

^١ مما يشعر بأن التوحيد قبل العبادة .^٢ افترنت الهدایة بلفظ الرب في القرآن كثيراً في طه والأعلى والأنعام ١٩١ وأآل عمران ٨ والكهف والشعراء والصادفات والقصص وأول البقرة .

المنهج البوحي في الأطلاع والمعوّظ

بقلم: العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني التدويني

تعرّيف: محمد وثيق التدويني

لما اصطفى الله تبارك وتعالى رب العالمين سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً ، جعله هادياً عظيماً للإنسانية جماء ، وأعظم قائد ، على أوسع نطاق ، إلى يوم القيمة ، فبذلك حاز الرسول صلى الله عليه وسلم ما حاز ، من مكانة عظيمة سامية ليست فوقها مكانة ، ومع ذلك قام عن طريق إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الضلاله والغواية إلى الهدایة والسعادة ، بذلك العمل العظيم الذي كانت الإنسانية بأمس حاجة إليه في ذلك الزمان المظلم ، كان العرب والجهم كلهم في عهد البغوثة المحمدية قد وصلوا إلى النهاية في الفوضى الخلقية ، والظلم والعدوان ، وكان الإنسان قد تجرد عن شخصيته الإنسانية ، وقد سموه الإنساني ، وكانت الإنسانية في احتضار ، وعلى شفا جرف هار ، فجاشت رحمة الله ، وبعث مصلحاً عظيماً ، وهو محمد بن عبد الله الأمين صلى الله عليه وسلم ، وألقى عليه بطريق الوحي مسؤولية هداية الإنسان ، وإعادته إلى مكانته الإنسانية السامية ، فأدى الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المسؤولية خير تأدية وأكملها ، وكان مع كونهنبياً عظيماً ، معلمًا ومربياً عظيماً كذلك ، وكانت طريقة تعليمه وتربيته وفق أمر الله تعالى فقال: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" [سورة النحل: ١٢٥].

وقال في موضع آخر: "ومن أحسن قولًا ممن دعَا إلى الله وعمل صالحًا وقال إثني من المسلمين" [سورة حم السجدة: ٣٣].

فقال بذلك صفة خاصة ، وهي خاصية التأثير التي ذكرها الله تعالى في محكم كتابه حيث يقول: "فإذاً الذي يبنّيك وبيّنه عداوة كائنة ولئي حميم ، وما يلقاءها إلا الذين صبروا وما يلقاءها إلا ذو حظ عظيم" [سورة السجدة: ٢٥-٣٤].

فكانت نتيجة دعوته الحكيمه ونصيحته المؤاسية أن أصبح أعداؤه أصدقاء له ، وتحول معارضوه مؤيدين له ، ولكن قوّة احتماله وصبره على الأذى والمشقة في سبيل اختيار هذا المنهج الحسن؛ منهجه النصح واللين والعطف ، كان غاية لا يمكن تصورها ، ولم يكن أحد يستطيع أن يتحمل ما

اختتم الرسول صلى الله عليه وسلم بفضل الله ومنه ، وفي السيرة النبوية أمثلة كثيرة تدل على هذا الجانب المهم للنصح والإصلاح بالموعظة الحسنة ، والمحبة واللطف ، فكان المنهج النبوي مفعماً بروح المودة والمؤاساة والملاطفة ، والردد على الإساءة بالإحسان والغفو.

ومن أمثلة ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال أعرابي في المسجد ، فقام الناس إليه ليقعوا فيه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعوه، وأريقوا على بوله سجلاً من الماء ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعشو معسرين (١). وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني ، غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي ، فجبذه بردائه جبذاً شديدة ، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذه ، ثم قال: يا محمد! مرلي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه ، فضحك ، ثم أمر له بعطيه (٢).

وكان صلى الله عليه وسلم من الناحية الاقتصادية قليل المال ، حتى لا يجد أحياناً ما يسدّ به حاجته ويقضيها ، ويضطر إلى الفقر والفاقة ، وأحياناً يكتفي بالتمر والماء فحسب.

ومرة جاءه رجل فقال: أنت آل عبد المطلب بخلاء ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم بغاية من اللين والعطف: لست أنا ببخييل ، ولكنني الآن لا أجد ما نعطيك إياه ، فلم يغضب الرسول على هذه الجفوة والإساءة ، ورد عليها بإنسان وعطف ، وكان غاية في الجود والمسخاء ، يقرى الضيوف الذين كانوا يفدون إليه كل وقت ، وكان أصحاب الصفة يجتمعون خارج بيته ، وهو يطعمهم ويقوم بكمالتهم ، وأحياناً يضطر إلى الفقر والفاقة (٣).

وكان صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكرهه ، لم يقل ما بال فلان ، بل يقول: ما بال أقوام يصنعون أو يقولون ، كذا ينهى عنه ، ولا يسمى فاعله.

التركية وإصلاح الباطن :

كان الله تعالى قد بعث نبيه الأخير محمداً صلى الله عليه وسلم ليقوم

١ - رواه البخاري في كتاب الوضوء.

٢ - رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب "ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم، ورواه الإمام أحمد في المسند، ج ٢/ ص: ١٥٣ باختلاف في اللفظ.

٣ - صحيح البخاري وصحيح مسلم كتاب الزهد.

بِعَمَلِ التَّعْلِيمِ وَالتَّزْكِيَّةِ ، يَقُولُ عَزوجلُ فِي مَحْكَمَتِ تَرْزِيلِهِ " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَأْتِيهِمْ آيَاتِهِ وَيُرَكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفْنِي ضَلَالٌ مُبِينٌ " [سُورَةُ الْجَمَعَةِ : ٣٣].

وَكَانَتِ التَّرْكِيَّةُ أَيْ إِصْلَاحُ أَخْلَاقِ الْإِنْسَانِ وَسُلُوكِهِ، السَّمَةُ الْفَالِبَةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ كَتَبَ العَالَمُ الْسَّيِّدُ سَلِيمَانُ النَّدِيُّونِيُّ وَهُوَ يُشَيرُ إِلَى هَذِهِ السَّمَةِ الْفَالِبَةِ هَذِهِ قِيَّوْلُ :

قد ورد في مواضع متعددة في القرآن الكريم الشاء على الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة "وَيَرْكِيِّهُمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" فالنبي صلى الله عليه وسلم يزكي العرب الأميين ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وردت في هذه الآية كلامتان تستحقان العناية ، احدهما: التزكية ، وثانيهما: الحكمة .

١- وَمِنْ التَّزْكِيَةِ الْإِصْلَاحُ وَالْتَّطْهِيرُ وَإِزْالَةُ الْأَدْرَانِ وَالْأَرْجَاسِ ،
وَاسْتَعْمَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذِهِ الْكَلْمَةَ بِمَعْنَى تَطْهِيرِ النَّفْسِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ
أَنْوَاعِ الْأَدْرَانِ وَالْخَبَاثَةِ وَالْأَرْجَاسِ ، أَيْ إِزْالَةِ مَا رَأَى عَلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ وَصَقْلَهَا
وَتَجْلِيَتْهَا ، فَقَدْ وَرَدَ فِي سُورَةِ الشَّمْسِ : « وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورُهَا
وَنَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّا هَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا » [سُورَةُ الشَّمْسِ : ١٠]

وأما الكلمة الثانية فهي "الحكمة" التي وردت في القرآن الكريم لمعنىين، أحدهما: العلم والعرفان الذي يودع في قلب النبي بصورة النور الإلهي ، وتبدو آثاره من لسانه حيناً في صورة المصالح والأسرار ، وحينما آخر في صورة السنن والأحكام ، وأما المعنى الثاني: فهو آثار هذا العلم والعرفان ونتائجها التي تتضمن معظمها التعاليم الخلقية ، وقد ورد في موضوعين من القرآن الكريم شرح هذا المعنى الثاني ، وما يأتي في نطاق الحكمة ، ورد في سورة الإسراء التأكيد على التوحيد ، وإطاعة الوالدين ، ونصرة الأقارب والمحاجين ، وذوى الحاجة ، كما جاء النهي عن الإسراف في الإنفاق ، والبخل ، وقتل الأولاد والزنا ، وقتل النفس بغير حق ، وإيذاء الأيتام . ثم ذكر إيفاء الوعود والمهود وعدم النقص في الكيل والوزن ومنع من المشي على الأرض مرحًا ، ثم جاء: "ذلك مما أُوحى إليكَ رَبِّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ" [سورة لاسراء: ٣٩] . "ولَقَدْ أَثَيْنَا لِقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرَ لِلَّهِ" [سورة لقمان: ١٢] .

ثم بين عددًا من معاني الحكمة أي "لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ" ، "وَبِأَوْلَادِنِيْنِ إِحْسَانًا" "أَقِمِ الصَّلَاةَ" وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ "وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ" وَأَصْبِرْ عَلَى مَا

أصحابك " ولا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا " وأغضض من صوتك".

تدل هذه الآيات على أن كلمة "الحكمة" أطلقت على الأمور الصالحة الطيبة الطبيعية التي تتفق جميع الأديان والمثل على كونها طيبة مرضية ، والتي يمكن أن يعبر عنها بالأخلاق بالمعنى الثاني".

ويقول العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوبي :

"ذكر القرآن الكريم ثلاثة أوصاف للرسول صلى الله عليه وسلم : تلاوة

الآيات ، التزكية ، وتعليم الكتاب والحكمة .

ومن أخص صفاته صلى الله عليه وسلم التزكية ، ومعنى التزكية أنه لا يكتفي بالتلاوة والإفهام فحسب ، بل يصبح المخاطبين بصبغة التلاوة والتعليم ، ويخلق فيهم جوهر التعليم وروحه ، يُسمّع الأسماء والأذهان هذا الكتاب والتعليم ، ثم يصبح القلوب والأرواح بالصبغة الإلهية ، ثم تظهر النتائج من الأعضاء والجوارح ، فإن هذه الصفة هي التي تميّزه من سائر الوعاظ والمعلمين في العالم ، فكان مزكيًا بالإضافة إلى الواعظ والعلم ، وبذلك كان هادياً ومرشداًً أَنْجَح ، وكان هذا سر الانقلاب الهائل الذي أحدثه في حياة الصحابة روحياً وخلقياً وفكرياً وعملياً ، والنجاح الابتدائي للإسلام ، ويلمس اليوم في جميع نواحي الحياة الإسلامية بشكل أظهر .

ويعرف الأصدقاء والأعداء جميعاً بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحمل تأثيراً عظيماً وعميقاً ، وأشد من تأثير الملائكة والأحجار النفيسة ، فكل من سعد بصحبته أصبح ذهباً مجلبي ومصفي ، بل تحول بنفسه ملائكة ، وتحولت البهائم إنساناً ، وانقلب الإنسان ملكاً ، وتلقى العرب من التربية العقدية والخلقية والروحية الأعلى والأكمل ما لا يتصور فوقه ، فكل من جالسه ، أو قاوه ، أو قضى وقتاً في صحبته انصبغ بصفاته ، وانصره في بوتقة الشريعة ، وبدأ يتعظ بأمر الشريعة بدون داعية ، وأصبحت الطاعات سهلة ومرغوباً فيها طبيعياً ، وأصبحت الذنوب والمعاصي مكرورة مبغوضة ، حتى تعتقد الأمة بشأن الصحابة أنهم عدول ، وثقات ، والصحابي وإن كان ذا درجة أدنى ، هو أفضل بكثير من أكبر الأولياء المتأخرین العظام .

وكتب السيرة معمورة بأمثلة كثيرة من الانقلاب الفوري والتغير الباطني ، فمن تحدث إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو سمع تلاوته أو كلامه أو جرب خلقه ، تغيرت حياته وانقلب رأساً على عقب .

هم فضالة بن عمير بن الملوح أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت ، فلما دنا منه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَفْضَالَةَ قَالَ: نعم ، فضالة يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال: ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت أذكر الله ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال: استغفر الله ، ثم وضع يده على صدره ، فسكت قلبه ، وكان فضالة يقول: والله ما رفع يده من صدري حتى ما خلق الله شيئاً أحب إليّ منه ، قال فضالة: فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت: هلْ إلى الحديث ، فقلت: يأبى الله عليك والإسلام (١).

ويقول عمرو بن العاص: إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقِ ثَلَاثَةِ ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مِنِّي وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ ثُلُوْمَتُ عَلَى تُلُكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ الثَّارِ فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - فَقُلْتُ أَبْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأْبَايِعُكَ . فَبَسَطَ يَمِينَهُ - قَالَ - فَقَبَضْتُ يَدَيْهِ . قَالَ « مَا لَكَ يَا عَمْرُو » . قَالَ قُلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ بِمَاذَا . قَلَتْ أَنْ يَعْفَرَ لِي . قَالَ « أَمَا عَلِمْتُ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهُجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ » . وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلَا أَجَلٌ فِي عَيْنِي مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطْقَتُ لَأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ . (٢)

فقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على هذه الخصائص والمسئوليات التي أقيمت عليه من قبل الله تعالى بتعليم الناس أحكام الله في جانب ، وفي جانب آخر قام بتصنيع الأمزجة والطباخ بصفتها الدين وصهرها في قالب الإسلام ، وبين آيات الله التي تحصل بها معرفة الله ، وذكرى الناس مما نشأت فيهم من عيوب ونقائص وسعيّات ، ونشأهم تتشاءم مثالية ، وربماهم مكارم السيرة المثالية الحسنة ، وعلمهم أحكام الله وكتابه ، ولقائهم مكارم الأخلاق والمنهج السليم للحياة ، وطهارة الأخلاق ، وسمو السيرة ونبلاها ، ووضع عنهم أغلال الضلال والغواية في ضوء تعاليم القرآن الكريم ، ودعاهم إلى توحيد الله تعالى ، وعظمته وعبادته وإجلاله وحده ، وحلّاهم بأحسنخلق ،

١ - زاد المعاد: ٢٣٢/٢

٢ - رواه مسلم كتاب الإيمان، بباب الإسلام يهدم ما قبله والحج والعمرة

وكريم الصفات ، ونبيل السجايا ورفيع الشيم .

وأدى الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق قيامه بمسئوليته العظيمة ، فريضة معلم ناجح ، ومربٌ حكيم في مجال إصلاح الإنسان و هدایته ، ورَبِّ العرب الأميين الضالين تربية ، وعلمهم تعليماً أن أصبحوا مربين ومصلحين للعالم كله ، وأحدث صحباته البررة الصالحون انتلاباً هائلاً في كل مكان ، وصلوا إليه ، أو حلوا به ، أو مرؤوا به ، وكانت طريقته في التعليم والتربية ومنهجه في التفهيم والتلقين مؤثراً غاية التأثير ، فكل من يأتيه أو يجالسه ينقلب رأساً على عقب ، ولكن كل ذلك كان بمشيئة الله تعالى وأمره ، يقول الله عز وجل: "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" [سورة القصص: ٥٦].

فمن كان قدر له من أول يومه أن يكون ضالاً وغاوباً ، ولم يكن أحد من المربين والمعلمين يستطيع أن يهديه ويرشده ، فحرم من تربية النبي صلى الله عليه وسلم ، فعلاوة على مثل هؤلاء التغساء المحروميين ، كل من أعاره رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنایته واعتنى به ، تأثر به وتغير ، وكان هذا أيضاً من مشيئة الله وحكمته أن جعل الأمي الذي لم يتلق درساً ولم يطمه أحد طريقة التعليم والتعلم ، نبياً ، فقام بالعمل العظيم الذي لم يستطعه كبار العلمين في العالم ، وسبب ذلك الأكبر أنه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ على أحد ولم يتلق التعليم من شخص ، ولكن أساس العلم فيه كان أقوى وأرفع ، فلذلك أعطى العلم بالواسطة السماوية ، وإن الصلاحية التي يملكتها العلم السماوي لبناء الحياة الإنسانية تكون أكثر تأثيراً وأكبر قدرة وتقوياً من الصلاحية التي تحصل بالواسطة الأرضية ، فمنحة هذا العلم السماوي صلاحية قائمة نادرة مؤثرة ، غيرها حياة الإنسان ظهراً على بطن ، وفاض منه النفع العظيم الذي جعل الإنسان أعلى وأفضل ، ورفعه من الحضيض إلى القمة ، وأعطى الإنسان منهاجاً وشرعة تقدر على إيصاله إلى القمة العالمية في الفوز والفلاح إذا اختارها وسلكها ، إلى يوم القيمة ، وتنمنح الإنسان العلم وفق معياره الأعلى وتهديه فيما يهمه ، أو يحتاجه في قضاء الحياة ، ولما خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم قريش الذين كانوا أميين في الأغلب ، وعرض عليهم الكلام الأعلى والمثل العليا للحياة رجعوا إلى علماء أهل الكتاب واستفسروهم بما يقوله صلى الله عليه وسلم ، ثم وجهوا إليه بايغاز من أهل الكتاب أسئلة محيرة لاختبار علمه . صلى الله عليه وسلم . وكانوا يظنون أنه لا يستطيع الإجابة عليها ، وذاك أن عامة الناس لا يستطيعون علمها إلا بالطريق

السائد للعلم والتعليم ، وكان يتعلم بالطرق الرائجة ولكن علمه المعلم السماوي وهو خالق الكون والحياة ، كانوا قد سأله عن أصحاب الكهف ، وذو القرنين ، فعلمه الروح الأمين شديد المرة ، فأخبرهم ما سأله ، فتجلى أمام قريش أن ما ي قوله ليس أسطورة من أساطير الأولين ، وإنما مصدره ومنبعه العلم الإلهي الذي منحه الله إياه ، وهذا العلم يعلم الطريق القويم لبناء حياة الإنسان وسيرته ، وشخصيته بناءً مثالياً صالحًا ، وهذا الطريق يهدي الإنسان إلى الاتجاه الرشيد السليم ويصونه من الوقوع في هُوَةِ الْهَلَكَ .

فخلاصة القول إن العالم قد شاهد بأم عينيه انقلاباً هائلاً عظيماً حدث بفضل هذا العلم الإلهي و هدایتہ في نصف قرن ، وانقلب اتجاه حياة الناس ظهراً لبطن ، وكان الإنسان يسير نحو الْهَلَكَ والدمار هائماً على وجهه ، فبدأ يتوجه في نصف قرن إلى طريق النجاح والصلاح ، وخضعت أمامه القوى العظمى العالمية في ذلك الوقت باختيار هذا الطريق الرباني ، وحدث فيها انقلاب هائل أيضاً ، وكان كل ذلك نتيجة لتعليم وتربيـة النبي العظيم صلـى الله علـيـه وسـلـمـ الذي قدم أسوة حسنة كاملة جامعة دائمة شاملة لـحياة الإنسانية في سائر نواحيها؛ بأعماله وأقواله وسيرته وسلوکه المثالـيـ الحـسـنـ .

وقد كتب العـلامـةـ السـيـدـ سـلـيـمانـ النـدوـيـ كـيـفـ كانـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـسـوـةـ لـجـمـيـعـ طـبـقـاتـ الـبـشـرـ وـيـصـلـحـ أـنـ يـكـوـنـ قـدـوةـ لـجـمـيـعـ أـفـرـادـ بـنـيـ آـدـمـ ، عـلـىـ اـخـتـلـافـ صـنـاعـهـمـ وـمـهـمـهـمـ ، وـظـرـوـفـهـمـ وـبـيـئـاتـهـمـ ، فـيـ كـلـ زـمـانـ ، يـقـولـ رـحـمـهـ اللـهـ :

"لقد مثـلـتـ حـيـاةـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـعـمـالـ كـثـيرـةـ مـتـوـعـةـ ، بـحـيـثـ تـكـوـنـ فـيـهـاـ أـسـوـةـ الصـالـحـةـ ، وـالـمـنـهـجـ الـأـعـلـىـ ، لـحـيـاةـ إـنـسـانـيـةـ فـيـ جـمـيـعـ أـطـوـارـهـ؛ لـأـنـهـ جـمـعـتـ بـيـنـ الـأـخـلـاقـ الـعـالـيـةـ وـالـعـادـاتـ الـحـسـنـةـ ، وـالـعـوـاطـفـ الـنـبـيـةـ الـمـعـدـلـةـ ، وـالـنـوـازـعـ الـعـظـيمـةـ الـقـوـيـةـ ."

إذا كنت غنياً مثرياً ، فاقتـدـ بالـرـسـوـلـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ عـنـدـمـاـ كانـ تـاجـرـاـ يـسـيرـ بـسـلـعـهـ بـيـنـ الـحـجـازـ وـالـشـامـ ، وـحـينـ مـلـكـ خـزـائـنـ الـبـحـرـيـنـ ، وـانـ كـنـتـ فـقـيرـاـ مـعـدـماـ فـلـتـكـنـ لـكـ أـسـوـةـ بـهـ وـهـوـ مـحـصـورـ فـيـ شـعـبـ أـبـيـ طـالـبـ ، وـحـينـ قـدـمـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ مـهـاجـرـاـ إـلـيـهاـ مـنـ وـطـنـهـ ، وـهـوـ لـاـ يـحـمـلـ مـنـ حـطـامـ الدـنـيـاـ شـيـئـاـ ، وـانـ كـنـتـ مـلـكـاـ فـاقـتـدـ بـسـنـتـهـ وـأـعـمـالـهـ حـينـ مـلـكـ أـمـرـ الـعـرـبـ ، وـغـلـبـ عـلـىـ آـفـاقـهـمـ ، وـدـانـ لـطـاعـتـهـ عـظـمـاـهـمـ وـذـوـوـأـحـلـامـهـمـ ، وـانـ كـنـتـ رـعـيـةـ ضـعـيفـاـ ، فـلـكـ فـيـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـسـوـةـ حـسـنـةـ أـيـامـ كـانـ مـحـكـومـاـ بـمـكـةـ فـيـ نـظـامـ الـمـشـرـكـينـ ،

وإن كنت فاتحاً غالباً قلك في حياته نصيب أيام ظفره بعده في بدر وحنين ومكة ، وإن كنت منهزاً . لا قدر الله لك . فاعتبره في يوم أحد وهو بين أصحابه القتلى ورفقاهم المشخن بالجراح ، وإن كنت معلماً ، فانتظر إليه وهو يعلم أصحابه في صحن المسجد ، وإن كنت تلميذاً متعلماً ، فتصور معلمه بين يدي الروح الأمين جاشياً مسترشداً ، وإن كنت واعظاً ناصحاً ومرشداً ، أميناً ، فاستمع إليه وهو يعظ الناس على أعاد المسجد النبوي ، وإن أردت أن تقيم الحق وتصدح بالمعروف ، وأنت لا ناصر لك ولا معين ، فانتظر إليه وهو ضعيف بمكة ، ولا ناصر ينصره ، ولا معين يعينه ، ومع ذلك فهو يدعوا إلى الحق ويعلن به ، وإن هزمت عدوك وخضدت شوكته ، وقهرت الحق على يديك ، وزهر الباطل ، واستتب الأمر ، فانتظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة ، وفتحها ، وإن أردت أن تصلح أمرك ، وتقوم على ضياعك ، فانتظر إليه صلى الله عليه وسلم وقد ملك ضياع بنى التضير وخبير ، وفدىك ، كيف دبر أمورها ، وأصلح شؤونها ، وفوضها إلى من أحسن القيام عليها ، وإن كنت يتيمًا ، فانتظر إلى فلذة كبد آمنة وزوجها عبد الله ، وقد توفيا وابنهما صغير رضيع ، وإن كنت صغير السن ، فانتظر إلى ذلك الوليد العظيم حين أرضعته مرضعته الحنون حليمة السعدية ، وإن كنت شاباً فاقرأ سير راعي مكة ، وإن كنت تاجراً مسافراً بالبضائع ، فلا لاحظ شؤون القافلة التي قصدت "بصرى" وإن كنت قاضياً أو حكماً فانتظر إلى الحكم الذي قصد الكعبة قبل بزوغ الشمس ليضع الحجر الأسود في محله ، وقد كاد رؤساء مكة يقتلون ، ثم ارجع البصر إليه مرة أخرى ، وهو في فناء مسجد المدينة يقضى بين الناس بالعدل ، يستوي عنده منهم الفقير المعدم ، والفنى المثري ، وإن كنت زوجاً فاقرأ السيرة الطاهرة والحياة النزية لزوج خديجة وعائشة ، وإن كنت أبو أولاد ، فتعلم ما كان عليه والد فاطمة الزهراء ، وجده الحسن والحسين ، وأيام من كنت ، وفي أي شأن كان شأنك ، فإنك مهما أصبحت أو أسيئت ، وعلى أي حال بت أو أضحيت ، فلنك في حياة محمد صلى الله عليه وسلم هداية حسنة ، وقدوة صالحة تضيء لك بنورها دياجي الحياة ، ويتجلى لك بضميتها ظلام العيش ، فتصلح ما اضطرب من أمورك ، وتتفق بهديه أودك ، وتقوم بستنته عوجك ، وأن السيرة الطيبة الجامعة لشتى الأمور هي ملاك الأخلاق ، وجماع التعاليم ، لشعوب الأرض ، وللناس كافة ، في أطوار الحياة كلها ، وأحوال الناس على اختلافها وتتوّعها ، فالسيرة الحمدية نور للمستير ، وهديها نبراس للمستهدي ، وإرشادها ملجاً لكل مسترشد .^(١)

١ - "الرسالة الحمدية" ص: ١٣٧-١٣٥، نقله إلى العربية: محمد ناظم الندوى رحمه الله

شوفاً إلى الصادقة

الإمام الداعية الشيخ بدیع الزمان سعید التورسی

ترجمة: الدكتور إحسان قاسم الصالحي، *

قال لي أحدهم يوماً وهو كبير سننا و جسماً و رتبة : " إنَّ أَدَاءَ الصَّلَاةِ كَائِنٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَيْلَاباً مَوْقُوتًا" (النساء : ١٠٣)
 حسن و جميل ، ولكن تكرارها كل يوم ، وفي خمسة أوقات كثير جدا فكثرتها هذه تحملها مهلاً ! ..

وبعد مرور فترة طويلة على هذا القول ، أصنفه إلى نفسي فإذا هي أيضاً تردد الكلام نفسه !! فتأملت فيها ملياً ، وإذا بها قد أخذت - بطريق الكسل - الدرس نفسه من الشيطان ، فلعلت عدتها أن ذلك الرجل كأنه قد نطق بتلك الكلمات بلسان جميع النفوس الأمارة بالسوء ، أو أنطق هكذا . فقد قلت ما دامت نفسي التي بين جنبي أمارة بالسوء فلابد أن أبدأ بها أولاً لأنّ من عجز عن إصلاح نفسه فهو عن غيرها أعجز ، فخاطبتهما : يا نفسي ! .. اسمعيها مني "خمس تبيهات" مقابل ما تفوحت به وأنت منغمسة في الجهل المركب سادرة في نوم الفلة على فراش الكسل .

التشريع الأول

يا نفسي الشقي! هل إنّ عمرك أبديّ؟ وهل عندك عهد قطعي بالبقاء إلى السنة المقبلة بل إلى الغد؟ فالذى جعلك تملّين وتسأمين من تكرار الصلاة هو توهمك الأبديّ والخلود ، فتظهرين الدلال وكأنك بترفك مخلدة في هذه الدنيا . فإن كنت تفهمين أنّ عمرك قصير ، وأنه يمضي هباء دونفائدة ، فلا ريب أنّ صرف جزء من أربعين وعشرين منه في أداء خدمة جميلة ووظيفة مريحة لطيفة ، وهي رحمة لك ووسيلة لحياة سعيدة خالدة ، لا يكون مدعاه إلى الملل والسأم ، بل وسيلة مثيرة لشوق خالص ولذوق رائع ربيع .

مركز رسائل النور ، تركيا .

التنبيه الثاني

يا نفسي الشرهة ! إنك يومياً تأكلين الخبز ، وتشربين الماء ، وتتنفسين الهواء ، أمّا يورث هذا التكرار مللاً وضجراً ؟ كلا ، دون شك لأنّ تكرار الحاجة لا يجلب الملل بل يجدد اللذة . لهذا فالصلة التي تجلب الغذاء لقلبي ، وماء الحياة لروحني ، ونسيم الهواء للطيبة الربانية الكامنة في جسمي ، لابد أنّها لا تجعلك تملين ولا تستأمين أبداً .

نعم ، إنّ القلب المتعرض لأحزان وألام لا حدّ لها ، المفتون بأمال ولذائذ لا نهاية لها ، لا يمكنه أن يكسب قوتاً ولا غذاء إلا بطرق باب الرحيم الكريم ، القادر على كل شيء بكل تصرع وتوسل .

وانّ الروح المتعلقة بأغلب الموجودات الآتية والراحلة سريعاً في هذه الدنيا الفانية ، لا تشرب ماء الحياة إلا بالتوجه بالصلة إلى ينبوع رحمة المعبود الباقي والمحبوب السرمدي .

إن السر الإنساني الشاعر الرقيق اللطيف ، وهو اللطيفة الربانية النورانية ، والخلوق للخلود ، والمشتاق له فطرة والمرأة العاكسة لتجليات الذات الجليلة ، لابد أنه يحتاج أشدّ الحاجة إلى التنفس ، في زحمة وقساوة وضفوط هذه الأحوال الدنيوية الساحقة الخانقة العابرة المظلمة ، وليس له ذلك إلا بالاستشاق من نافذة الصلاة .

التنبيه الثالث

يا نفسي الجزعة ! إنك تتضطرين اليوم من تذكر عناء العبادات التي قمت بها في الأيام الماضية ، ومن صعوبات الصلاة وزحمة المصائب السابقة ، ثم تتفكررين في واجبات العبادات في الأيام المقبلة وخدمات أداء الصلوّات ، وألام المصائب ، فتطهرين الجزء ، وقلة الصبر وتفاده . هل هذا أمر يصدر من له مسْكَةٌ من عقل ؟

إنّ مثلك في عدم الصبر هذا مثل ذلك القائد الأحمق الذي وجّه قوّةً عظيمة من جيشه إلى الجناح الأيمن للعدو ، في الوقت الذي التحق ذلك الجناح من صفوف العدو إلى صفه ، فأصبح له ظهيراً . ووجّه قوته الباقية إلى الجناح الأيسر للعدو ، في الوقت الذي لم يكن هناك أحد من الجنود . فأدرك العدو نقطة ضعفه فسدد هجومه إلى القلب فدمّره هو وجيشه تدميراً كاماً .

نعم ، إنك تشبهين هذا القائد الطائش ، لأن صعوبات الأيام الماضية وأتعابها قد ولت ، فذهبت آلامها وظلت لدتها وانقلب مشقتها ثوابا ، لذا لا تولد مللا بل شوقا جديدا وذوقا نديا وسعيا جادا دائما للمضي والإقدام . أمّا الأيام المقبلة ، فلأنها لم تأت بعد ، فإن صرف التفكير فيها من الآن نوع من الحماقة والبله ، إذ يشبه ذلك البكاء والصرخ من الآن ، لما قد يحتمل أن يكون من العطش والجوع في المستقبل . . .

فما دام الأمر هكذا ، فإن كان لك شيء من العقل ، ففكري من حيث العبادة في هذا اليوم بالذات . قولي سأصرف ساعة منه في واجبي مهم لذيد جميل ، وفي خدمة سامية رفيعة ذات أجر عظيم وكلفة ضئيلة . وعندهما تشعرين أن فتورك المؤلم قد تحول إلى همة حلوة ، ونشاط لذيد .

فيما نفسي الفارغة من الصبر ! إنك مكافأة بثلاثة أنواع من الصبر .

الأول : الصبر على الطاعة .

الثاني : الصبر عن المعصية .

الثالث : الصبر عند البلاء .

فإن كنت فطنة فخذني الحقيقة الجلية في مثال القائد - في هذا التبليه - عبرة ودليلا ، وقولي بكل همة ورجلة " يا صبورا " ثم خذني على عاتقك الأنواع الثلاثة من الصبر . واستنди إلى قوة الصبر المودعة فيك وتجمل بيها ، فإنها تكفي للمشقات كلها ، وللمصائب جميعها ما لم تبعثريها خطأ في أمور جانبية .

التبليه الرابع

يا نفسي الطائشة ! يا ثرى هل أن أداء هذه العبودية دون نتيجة وجدوى ١٦ وهل أن أجرتها قليلة ضئيلة حتى تجعلك تسأم من هنا مع أن أحذنا يعمل إلى المساء ويكتد دون فتور إن رغبه أحد في مال أو أرهبة .

إن الصلاة التي هي قوت لقلبك العاجز الفقير وسكنية له في هذا المضيف المؤقت وهو الدنيا . وهي غذاء وضياء لنزلك الذي لا بد أنك صائرة إليه ، وهو القبر . وهي عهد وبراءة في محكمتك التي لا شك أنك تحشرين إليها . وهي التي ستكون نورا وبراً على الصراط المستقيم الذي لا بد أنك

سائرة عليه .. فضلاً هذه نتائجها ، هل هي بلا نتيجة وجدوى ؟ أم أنها زهيدة الأجرة ؟

وإذا وَدَكَ أحد بهدية مقدارها مائة ليرة ، فسوف يستخدمك مائة يوم وأنت تسعي وتعملين معتمدة على وعده دون ملل وفتور ، رغم أنه قد يخلف الوعد . فكيف بمن وَدَكَ وهو لا يخلف الوعيد مطلقاً؟ فخالف الوعيد عنده الحال ! وَدَكَ أجرةً وثمناً هي الجنة ، وهدية عظيمة هي السعادة الخالدة ، لتؤدي له واجباً ووظيفة لطيفة مريحة وفي فترة قصيرة جداً . ألا تفكرين في أنك إن لم تؤدي تلك الوظيفة والخدمة الضئيلة ، أو قمت بها دون رغبة أو بشكل متقطع ، فإنك إذن تستخفين بهديته ، وتتهمينه في وعده! ألا تستحقين إذن تأدinya شيئاً وتعذبياً أليماً؟ ألا يشير همتك لتؤدي تلك الوظيفة التي هي في غاية اليسر واللطف خوفاً السجن الأبدى وهو جهنم . علماً ألا تقومين بأعمال مرهقة وصعبة دون فتور خوفاً من سجن الدنيا ، وأين هذا من سجن جهنم الأبدى؟

التنبيه الخامس

يا نفسي المغمرة بالدنيا ! .. هل إن فتورك في العبادة وتقديرك في الصلاة ناشئان من كثرة مشاغلك الدنيوية ؟ أم أنك لا تجدين الفرصة لغبة هموم العيش ؟

فيما عجبأ هل أنت مخلوقة للدنيا فحسب ، حتى تبذل كل وقتك لها ؟
تأملي ، إنك لا تبلغين أصغر عصفور من حيث القدرة على تدارك لوازم الحياة
الدنيا رغم أنك أرقى من جميع الحيوانات فطرة . لم لا تفهمين من هذا أن
وظيفتك الأصلية ليس الانهماك بالحياة الدنيا والاهتمام بها كالحيوانات ،
ولئما السعي والدأب لحياة خالدة كالإنسان الحقيقي . مع هذا ، فإنَّ أغلبَ ما
تذكرينه من المشاغل الدنيوية هي مشاغل ما لا يعنيك من الأمور ، وهي التي
تتدخلين فيها بفضول ، فتهدررين وقتك الثمين جدا فيما لا قيمة له ولا ضرورة
ولا فائدة منه ، كتعلم عدد الدجاج في أمريكا أو نوع الحلقات حول زحل .
وكأنك تكسيين بهذا شيئاً من الفلك والإحساء ! فتدعين الضروري والأهم
والألزم من الأمور كأنك ستعمررين آلاف السنين ١٦

فإن قلت : إن الذي يصرفني ويفترني عن الصلاة والعبادة ليس مثل هذه الأمور التافهة وإنما هي أمور ضرورية لطالب العيش . إذن فاسمعي مني هذا المثل : إن كانت الأجرة اليومية لشخصٍ مائة قرش وقال له أحدهم : " تعال وأاحضرْ لعشر دقائق هذا المكان ، فإنك ستجد حجراً كريماً كالزمرد قيمته مائة ليرة" كم يكون عذراً تافهاً بل جنونا أن رفض ذلك بقوله : " لا ، لا أعمل ، لأن أجرتي اليومية ستقتصر ".

وكذلك حالك ، فإن تركت الصلاة المفروضة ، فإن جميع ثمار سعيك وعملك في هذا البستان ستختصر في نفقة دنيوية تافهة دون أن تجني فائدتها وبركتها . بينما لو صرفت وقت راحتك بين فترات العمل في أداء الصلاة ، التي هي وسيلة لراحة الروح ، ولتنفس القلب ، يضاف عندئذ إلى نفقتك الأخرى وزاد آخرتك مع نفقتك الدنيوية المباركة ، ما تجدينه من منبع عظيم لكترين معنويين دائمين وهما :

الكنز الأول : ستأخذ حظك ونصيبك من "تسبيحات" كل ما هيأته بنية خالصة ، من أزهار وثمار ونباتات في بستانك .

الكنز الثاني : أن كل من يأكل من محاصيل بستانك - سواء أكان حيواناً أم إنساناً شارياً أو سارقاً - يكون بحكم "صدقية جارية" لك ، فيما إذا نظرت إلى نفسك كأنك وكيل وموظف لتوزيع مال الله سبحانه وتعالى على مخلوقاته ، أي تصرف باسم الرزاق الحقيقي وضمن مرضاته .

والآن تأمل في الذي ترك الصلاة ، كم هو خاسر خسراً عظيماً ! وكم هو هاقد من تلك الثروة الهائلة ! وكيف أنه سيقى محروماً ومفلساً من ذينك الكنزين الدائمين اللذين يمدان الإنسان بقوة معنوية للعمل ويشوّقانه للسعى والنشاط ! حتى إذا بلغ أرذل عمره ، فإنه سوف يملّ ويضجر مخاطب نفسه : " وما عليّ ! لم أتعجب نفسي ؟ لأجل من أعمل ؟ فإنني راحل من هذه الدنيا غداً فيلقي نفسه في أحضان الكسل ؛ بينما الرجل الأول يقول : " سأسأل سعياً حيثما في العمل الحلال بجانب عبادتي المتزايدة كيما أرسل إلى قبرى ضياءاً أكثر وأدّخر لآخرتي ذخيرة أزيد " .

والخلاصة : أعلمي أيتها النفس ! إن أمس قد فاتتك . أما الغد فلم يأتي بعد ، وليس لديك عهد أنك ستماكينه ، لهذا فاحسببي عمرك الحقيقي هو

هذا اليوم . وأقلَّ القليل أن تلقي ساعة منه في صندوق الأذخار الأخرى ، وهو المسجد أو السجادة لتضمني المستقبل الحقيقي الحال .

واعلمي كذلك أن كل يوم جديد هو باب ينفتح لعالم جديد - لك ولغيرك - فإن لم تؤدي فيه الصلاة فإن عالم ذلك اليوم يرحل إلى عالم الغيب مُظلماً شاكياً محزوناً ، وسيشهد عليك . وأن لكلٍّ منا عالمه الخاص من ذلك العالم ، وأن نوعيته تتبع عملنا وقلبنا . مثله في ذلك مثل المرأة ، تظهر فيها الصورة تبعاً للونها ونوعيتها . فإن كانت مسودة فستظهر الصورة مسودة ، وإن كانت صقيلة فستظهر الصورة واضحة ، ولا تستظره مشوهة تضخم أنه شيء وأصغره . كذلك أنت ، فقبلك وبعمرك وبعملك يمكنك أن تغيري صور عالمك ، وباختيارك وطوع إرادتك يمكنك أن يجعلني ذلك العالم يشهد لك أو عليك .

وهكذا إن أديت الصلاة وتوجهت بصلاتك إلى خالق ذلك العالم ذي الجلال ، فسيتور ذلك العالم المتوجه إليك حالاً ، وكأنك قد فتحت بنيّة الصلاة مفتاح النور فأضاءه مصباح صلاتك ، وبيد الظلمات فيه . وعندها تتحول وتبدل جميع الاضطرابات والأحزان التي حولك في الدنيا فتراها نظاماً حكيمًا ، وكتابة ذات معنى بقلم القدرة الربانية ، فينساب نور من أنوار (اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) إلى قلبك ، فيتور عالم يombok ذاك ، وسيشهد بنورانيته لك عند الله .

فيا أخي ! حذر أن تقول "أين صلاتي من حقيقة تلك الصلاة ؟" إذ كما تحمل نواة التمر في طياتها صفات النخلة الباسقة ، الفرق فقط في التفاصيل والإجمال . كذلك صلاة العوام - من هم أمثالى وأمثالك - فيها حظ من ذلك النور وسر من أسرار تلك الحقيقة ، كما هي في صلاة ولـي من أولياء الله الصالحين ولو لم يتعلق بذلك شعوره . أمـا تـئـورـهـاـ فـهيـ بـدرجـاتـ مـتفـاـوتـةـ ، كـتفـاوـتـ المـراتـبـ الـكـثـيرـةـ الـتـيـ بـيـنـ نـواـةـ التـمـرـ إـلـىـ النـخـلـةـ . وـرـغـمـ أـنـ الصـلاـةـ فـيـهاـ مـراتـبـ أـكـثـرـ فـإـنـ جـمـيعـ تـلـكـ المـراتـبـ فـيـهاـ أـسـاسـ مـنـ تـلـكـ الـحـقـيقـةـ الـنـورـانـيةـ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مَنْ قَالَ : "الصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ" (١) وَعَلَى أَلْهَمِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .



(١) البيهقي، شعب الإيمان ٢٨٣؛ الديلمي، المسند ٤٠٤/٢، وانظر: الترمذى، الإيمان ٨؛ أحمد بن حنبل، المسند ٢٣١/٥، ٢٢٧.

التشريع القرآني والهديي العملي في عادة مسؤولية المربين.

بعلم : الشیخ الطاهر بدوي*

من أظهر المسؤوليات التي اهتم الإسلام بها و حض عليها ووجه الأنظار إليها ، مسؤولية المربين تجاه من لهم في أعقابهم حق التعليم والتوجيه والتربيـة . فهي في الحقيقة مسؤولية كبيرة و شاقة و هامة .. لكونها تبدأ منذ سن الولادة إلى أن يدرج الولد في مرحلتي التمييز والراهقة ، إلى أن يصبح مكفياً سوياً . ولا شك أن المربـي سواء أكان معلماً أو أباً أو أمـاً أو مشرفاً اجتماعياً حين يقوم بالمسؤولية كاملة و يؤدي الحقوق بكل أمانة و عزم و مضـاء على الوجه الذي يتطلبه الإسلام ، يكون قد بذل قصارى جهـوده في تـكوين الفرد بكل خصائصه و مقوماته و مزاياها ، وبالتالي يكون كذلك من حيث يعلم أولاً يعلم قد أنسـهم في بناء المجتمع المثالي الواقعـي بكل خصائصه و مقوماته و مزاياه لـتكوين الفـرد الصالـح و الأسرـة الصالـحة ، وهذا هو منطق الإسلام في الإصلاح .

و نحن لو تبعنا آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم في إهابـتها بالـربـين للـقيـام بـمسـؤـليـاتـهم ، و تحـذـيرـها إـيـاـهم إـذـا قـصـرـوا بـواـجـبـهـم .. لو تـبعـنا ذـلـك لـوجـدـناـها أـكـثـرـ منـ أـنـ تـحـصـيـ، و أـعـظـمـ منـ أـنـ تـسـتـقـصـىـ ، و ما ذـاك إـلا لـيـعـلمـ كـلـ مـرـبـ ضـخـامـةـ أـمـانـتـهـ وـ عـظـمـ مـسـؤـولـيـتـهـ .

فـمـنـ هـذـهـ الآـيـاتـ الـكـرـيمـةـ قولـهـ تـعـالـىـ فيـ سـوـرـةـ طـهـ (١٢٢) : " وـ أـمـرـ أـهـلـكـ بالـصـلـاـةـ وـ اـصـطـبـرـ عـلـيـهـ لـاـ تـسـأـلـكـ رـزـقـاـ نـحـنـ نـرـزـقـكـ وـ العـاقـبـةـ لـتـقـوـيـ " . وـ قولـهـ تـعـالـىـ فيـ سـوـرـةـ التـحـرـيـمـ (٦) :

" يـاـ أـيـهـاـ الـذـينـ آـمـنـواـ قـوـاـ أـنـفـسـكـمـ وـ أـهـلـيـكـمـ نـارـاـ ... وـ فيـ سـوـرـةـ التـغـابـنـ (٤) قولـهـ عـزـ وـ جـلـ : " يـاـ أـيـهـاـ الـذـينـ آـمـنـواـ إـنـ مـنـ أـزـوـاجـكـ وـ أـوـلـادـكـ عـدـواـ لـكـمـ فـاحـذـرـوهـمـ وـ إـنـ تـعـفـواـ وـ تـصـفـحـواـ وـ تـغـفـرـواـ فـإـنـ اللـهـ غـفـورـ رـحـيمـ " ... إـلـىـ غيرـ ذـلـكـ مـنـ هـذـهـ الآـيـاتـ الـكـثـيرـةـ الـمـسـتـقـيـضـةـ .

* كبير علماء الجزائر .

فأول واجبات الرجل المسلم أن يحول بيته إلى بيت مسلم وأن يوجه أهله إلى أداء الفريضة التي تصلهم معه بالله فتوحد اتجاههم العلوي في الحياة ، وما أروع الحياة في ظلال بيت ، أهله كلهم يتوجهون إلى الله . وبعد هذا التوجيه يجب عليه أن يصبر على إقامتها كاملة وعلى تحقيق آثارها ، فالصلوة تهـى صاحبها عن الفحشاء والمنكر إذا كانت صلاة اتصال لا صلاة انفصال وانفعال . فالمسلم الحقيقي دوماً في صلاة في سائر حركاته وسكناته ، دوماً في صلة طيبة مع نفسه ومع خلق الله بعد أهله ، تراه ينفع الجميع بما استطاع ابتعاده رضوان الله . والصلاحة هذه في حاجة إلى اصطبار على البلوغ بالصلاحة إلى الحد الذي تشر فيه شمارها هذه من المشاعر والسلوك وإنما هي صلاة مقامة ، إنما هي حركات و كلمات ، تلف لفـا و ترد على وجه أصحابها رداً .. يحذر القرآن الكريم من الأزواج والأولاد كما يحذر من الأموال والأولاد معاً فيقول " إنما أموالكم وأولادكم فتنة ". والتبيه إلى أن من الأزواج والأولاد من يكون عدواً .. إن هذا يشير إلى حقيقة عميقة في الحياة البشرية ويس وشائع متشابكة دقيقة في التركيب العاطفي وفي ملابسات الحياة سواء . فالآزواج والأولاد قد يكونون مشففة وملهـاة عن ذكر الله كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم في سورة المافقون (٩) : " يا أيها الذين آمنوا لا تلهـكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ". وقد يكونون أيضاً دافعاً للتقصير في تبعـات الإيمان اتقـاء للمتابـعـة التي تخيطـ بهـم ، لو قام المؤمن بواجبـه فـلقي ما يـلـقـاهـ المجـاهـدـ فيـ سـبـيلـ اللهـ ، وـ المـجـاهـدـ فيـ سـبـيلـ اللهـ يـتـعرـضـ لـخـسـارـةـ الـكـثـيرـ وـ تـضـحـيـةـ الـكـثـيرـ كـماـ يـتـعرـضـ هـوـ وـ أـهـلـهـ لـلـعـنـتـ وـ قـدـ يـحـتـمـلـ الـعـنـتـ فيـ نـفـسـهـ وـ لـاـ يـحـتـمـلـهـ فيـ زـوـجـهـ وـ ولـدـهـ . فيـ بـخـلـ وـ يـجـبـنـ لـيـوـفـرـ لـهـ الـأـمـنـ وـ الـقـرـارـ أوـ الـمـتـاعـ وـ الـمـالـ ، فيـ كـوـنـوـنـ بـذـكـرـ عـدـواـ لـهـ لـأـنـهـ صـدـوـهـ عـنـ الـخـيـرـ وـ عـوـقـوـهـ عـنـ تـحـقـيقـ غـاـيـةـ وـ جـوـدـهـ الـإـنـسـانـيـ الـعـلـيـاـ . كـمـاـ أـنـهـ قـدـ يـقـضـوـنـ لـهـ فـيـ الـطـرـيـقـ يـمـنـعـونـهـ مـنـ النـهـوـضـ بـوـاجـبـهـ اـتـقـاءـ لـاـ يـصـيـبـهـ مـنـ جـرـائـهـ أـوـ لـأـنـهـ قـدـ يـكـوـنـوـنـ فـيـ طـرـيـقـ غـيـرـ طـرـيـقـهـ وـ يـعـجزـ هوـ عـنـ المـفـاصـلـةـ بـيـنـهـ وـ بـيـنـهـ وـ التـجـرـدـ لـلـهـ ، وـ هـيـ كـذـلـكـ صـورـ مـنـ الـعـدـاوـةـ مـتـفـاقـوـتـةـ الـدـرـجـاتـ ، وـ هـذـهـ وـ تـلـكـ مـاـ يـقـعـ فـيـ حـيـاـةـ الـمـؤـمـنـ فـيـ كـلـ آـنـ .. وـ اـنـظـرـ إـلـىـ الرـسـوـلـ الـكـرـيمـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ بـعـظـمـتـهـ وـ حـلـمـهـ وـ حـرـصـهـ عـلـىـ سـعـادـةـ أـمـتـهـ كـيـفـ يـؤـدـبـناـ باـشـراـقـاتـهـ فـيـقـولـ عـنـ اـبـنـتـهـ الـزـكـيـةـ الـبـتـولـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـاـ : " لـوـ سـرـقـتـ فـاطـمـةـ

لقطع محمد يدها . ” .. فلم تأخذه في الله عاطفة ، و ذلك ليرد على أحد صحابته الكرام الذي أتى إليه ليستشفع في امرأة ذات حسب أصابت سرقة . فالمربي عادل و حكيم يعطي للعاطفة حقها وللواجب حقه ، فيلقن الطفل جمال المحبة والخلق الكريم و جلال التضحية و مخالفة الهوى و الشيطان . فأمثال هؤلاء المربيين كالياقوتة الملقاة في الفضاء فقل من يهتدى إليها و أقل من يعرف قدرها ...

و مما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحث على تربية الأولاد و العناية بهم كثير و كثير جدا ، فمن أحاديثه الشريفة ما أخرجه البخاري و مسلم : ” الرجل راع في أهله و مسؤول عن رعيته و المرأة راعية في بيت زوجها و مسؤولة عن رعيتها ” .. و ما رواه الترمذى : ” لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع ” و ما أخرجه عبد الرزاق و سعيد بن منصور : ” علموا أولادكم و أهليكم الخير و أدبواهم ” . و ما رواه الطبرانى : ” أدبوا أولادكم على ثلاثة خصال : ” حب نبيكم و حب آل بيته و تلاوة القرآن ” . و عن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال : ” أتينا النبي صلى الله عليه وسلم و نحن شبهة متقاريون فأقمنا عندك عشرين ليلة فظننا أنها اشتئينا أهليينا ، فسألنا عنمن تركنا في أهلينا فأخبرناه وكان رفيقا رحيمًا ” فقال : ” ارجعوا إلى أهليكم فعلمونهم و مروهم ، وصلوا كمارأيتموني أضلني ، فإذا حضرت الصلة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم ” . (رواه البخاري) .

فانتلاقاً من هذا التوجيه القرآني و الهدى الحمدى اهتم المربيون جميعاً جيلاً بعد جيل بتربية الأولاد و اعتنوا بتعليمهم و توجيههم و تقويم اعوجاجهم ، بل كان الآباء والأوصياء يختارون لأولادهم أفضل المعلمين تعليماً و تأديباً ، و أحسن المؤذبين إرشاداً و توجيهاً ليقوموا بأداء المهمة على وجهها الصحيح في تنشئة الولد على أساس العقيدة و الأخلاق و تعاليم الإسلام .

روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤذب قال له : ” ليكن أول ما تبدأ به من إصلاحبني إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنت و القبيح عندهم ما استقبحت ، وعلمهم سير الحكماء و أخلاق الأدباء و تهذبهم بي ، وأديبهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الذي لا يجعل بالدواء حتى يعرف الداء و لا تتكلن على عذر مني فإني قد اتكلت على كفاية منك ” .

وروى ابن خلدون في مقدمته أن هارون الرشيد لما دفع ولده الأمين إلى المؤدب قال له : يا أحمر : " إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبك ، فصيريتك عليه مبسوطة ، وطاعتكم عليه واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن وعرفه الأخبار وروه الأشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنه من الضحك إلا في أوقاته . ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مفتنت فائدة تقىده إياها من غير أن تحزنـه فتميت ذهنه ، ولا تمنعـن في مسامحته فيستحلـى الفراغـ و يألفـه ، وقومـه ما استطـعت بالقربـ والملاـينة فـإنـ أباـهـما فـعليـكـ بالـشـدةـ وـ الغـلـظـةـ ".

وبلغـ من اعتـنـاءـ السـلـفـ الصـالـحـ بـالـولـدـ آـنـهـ كـانـواـ حـرـيـصـينـ عـلـىـ مـتـانـةـ الـرـابـطـةـ بـيـنـهـمـ وـ بـيـنـ مـؤـدبـيـهـمـ ، فـكـانـواـ يـحـزـنـونـ إـذـاـ غـابـواـ عـنـ الـأـوـلـادـ فـتـرـةـ بـسـبـبـ مـنـ الـأـسـبـابـ ، لـخـوـفـهـمـ عـلـىـ الـأـوـلـادـ أـنـ لـيـؤـدـبـواـ عـلـىـ مـاـ يـرـيدـونـ وـ يـشـتـهـونـ .. ذـكـرـ الـرـاغـبـ الـأـصـفـهـانـيـ أـنـ الـمـنـصـورـ بـعـثـ إـلـىـ مـنـ فـيـ الـحـبـسـ مـنـ بـنـيـ أـمـيـةـ مـنـ يـقـولـ لـهـمـ : " مـاـ أـشـدـ مـاـ مـرـبـكـمـ فـيـ هـذـاـ الـحـبـسـ فـقـالـواـ : " مـاـ فـقـدـنـاـ مـنـ تـرـبـيـةـ أـوـلـادـنـاـ " وـ قـالـ الـحـجـاجـ لـمـؤـدبـيـهـ : " عـلـمـهـمـ السـبـاحـةـ قـبـلـ الـكـتـابـةـ فـإـنـهـمـ يـجـدـونـ مـنـ يـكـتـبـ عـنـهـمـ وـ لـاـ يـجـدـونـ مـنـ يـسـبـحـ عـنـهـمـ ".

وـ كـتـبـ سـيـدـنـاـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ لـأـهـلـ الشـامـ يـقـولـ لـهـمـ : " عـلـمـواـ أـوـلـادـكـمـ السـبـاحـةـ وـ الرـمـيـ وـ الـفـروـسـيـةـ ".

فـهـذـاـ غـيـضـ مـنـ فـيـضـ مـنـ اـهـتـمـامـ أـجـدـادـنـاـ بـتـرـبـيـةـ أـوـلـادـهـمـ وـ اـخـتـيـارـ أـفـضـلـ الـمـؤـدبـيـهـنـ لـهـمـ بـقـوـاعـدـ التـوـجـيـهـ الصـحـيـحـ وـ مـبـادـئـ التـرـبـيـةـ الـعـمـلـيـةـ الـفـاضـلـةـ .. وـ لـوـ رـجـعـ مـرـيـونـاـ إـلـىـ هـذـاـ التـوـجـيـهـ لـحـلـواـ جـلـ مـشـاكـلـنـاـ التـعـلـيمـيـةـ وـ هـيـ عـدـيدـةـ مـعـرـوفـةـ وـ أـهـمـهـاـ عـدـمـ توـافـرـ الـوـسـائـلـ الـكـافـيـةـ وـ لـاـ سـيـماـ مـالـ لـنـشـرـ الـتـعـلـيمـ بـيـنـ عـامـةـ الـشـعـبـ وـ إـذـاـ عـمـ الـتـعـلـيمـ عـمـ عـلـىـ حـسـبـ النـوـعـيـةـ وـ حـسـنـ التـسـيـيرـ ، ثـمـ غـمـوضـ الـأـهـدـافـ الـتـعـلـيمـيـةـ وـ الـعـقـائـدـ الـتـيـ يـجـبـ أـنـ يـنـشـأـ عـلـيـهـاـ الـجـيـلـ الصـاعـدـ وـ اـضـطـرـابـهـاـ ثـمـ الـاـهـتـمـامـ بـالـنـوـاـحـيـ الـنـظـرـيـةـ الـلـفـظـيـةـ يـفـيـ النـعـاـيمـ دـوـنـ الـاـهـتـمـامـ الـكـافـيـ بـالـتـرـبـيـةـ الـخـلـقـيـةـ وـ بـتـمـيـةـ الـانـضـباطـ الذـاتـيـ ثـمـ تـنـشـئـةـ جـيلـ اـتـكـاليـ منـ ذـوـيـ الـلـيـاقـاتـ الـبـيـضـاءـ ، وـ عـدـمـ الـعـنـيـةـ بـالـتـعـلـيمـ الـإـنـسـاجـيـ أيـ عـدـمـ مـطـابـقـةـ الـتـعـلـيمـ لـحـاجـيـاتـ الـاـقـتصـادـيـةـ وـ الـاجـتمـاعـيـةـ ، ثـمـ الـاـهـتـمـامـ الـزـائـدـ بـالـاـمـتـحـانـاتـ وـ جـعـلـ النـجـاحـ فـيـهاـ وـ الـحـصـولـ عـلـىـ الشـهـادـةـ الـهـدـفـ الرـئـيـسيـ لـلـتـعـلـيمـ ، فـلـاـ أـحـدـ يـلـقـىـ إـلـىـ كـفـاءـاتـ الـطـالـبـ وـ قـدـراتـهـ وـ كـيفـيـةـ مـسـاـهـمـتـهـ يـفـيـ إـدـرـاكـ الـمـعـلـومـاتـ ،

فقد يكون كسولاً مدة عامه وينجح ببعض الحظوظ في الامتحان فيقال ما كان المجتهد يتمناه ويسعى له بجهوده ولفاز به لو لا أن تعرض لبعض العوائق في الطريق. ثم إن نظامنا التعليمي لا يعني العناية الكافية بتكوين شخصية الفرد وتنمية مواهبه وقابلياته الخاصة ، فنحن نحضر الطلاب حشراً في صنوف مزدحمة ونقدم للجميع البرامج نفسها و كانوا جميعاً أجهزة ميكانيكية صبوا في قالب واحد ولذلك فإنهم يتعلمون الدروس ذاتها ونريد لهم أن يتلعلموا جميعاً بسرعة واحدة من دون اعتبار الفروق الفردية والمواهب الفردية وال حاجات الفردية لكل طالب ، ودون أن نوفر لهم الشروط الضرورية لذلك من مطعم ونقل وآباء وكتب مطالعة يرجعون إليها في بحوثهم ، ودون أن يلتقط المريء إلى حال الطالب الاجتماعية والعائلية فقد تكون هي الأخرى عائقاً له في الطريق ..

ولما كان التعليم عندنا غير مرتبط بالمحيط واحتياجاته نجد مشكلة كبرى في إيجاد العمل للمتخرجين من المدارس النظرية الذين لا تؤهلهم دراستهم للقيام بأي عمل منتج .. و من هنا نشأت البطالة بين المتعلمين وفشت هجرة أدمغتنا إلى حيث لا رجوع .. وإذا كتب الرجوع يوماً إلى الوطن المهجور كان رجوعاً ساماً منفصلاً عن شخصية مجتمعه الذي ترعرع فيه .. ومن المشاكل الداعية إلى الأسف انصراف بعض طلاب الثانويات وبعض المعاهد العالية في البلاد العربية على العموم إلى الشعب السياسي ، فصار بعض محترفي السياسية يستغلونهم ويزجون بهم في غوغائية هي و الحياة العلمية على طريق نقىض . ولا شك في أن مشاكلنا الأساسية كأمة عربية إسلامية أنها لم تتفق بعد على نظم التعليم وأسس المناهج . فهناك بلاد عربية لا تزال تؤكد التعليم الديني وحده مع إهمال بعض النواحي الأخرى ، كما أن هناك بلاداً لا تعنى العناية الكافية بالتعليم الديني و تتصرف على الأكثر إلى التعليم الزمني من النوع النظري اللغطي .. والإسلام من هذه وتلك براء .

ولنعلم جميعاً أن مسؤولية الجيل الصاعد تقع على رجال الحكم و الفكر وعلى أولياء الأولاد ولذلك ينبغي لهم أن يغيروا أحوالهم بسرعة لأن الزمان لا يسايرهم و التاريخ لن يرحمهم و من لم يتقدم يتأخر .

القرآن العظيم والأراضي الكونية حقيقة طبيعية مدحشة

(الحلقة الثالثة)

* بقلم : الأستاذ سعيد الرحمن بن محمد شهاب الدين الندوبي

١٤ - (ألم نجعل الأرض كفائنا . أحياءً وأمواتاً) المرسلات : ٢٥ - ٢٦
بعد أن أكد الخبر في الآية السابعة من سورة المرسلات بيوم القيامة
يوجه ثلاثة أسئلة إلى النوع الإنساني كدليل ، والبيان الحالي يتعلق بالسؤال
الثالث منها ، فذلك يدل على أن الإنسان يلفت نظره إلى أمر ذي بال ،
فالسؤالان الأولان هكذا :

(ألم نهلك الأولين . ثم نتبعهم الآخرين)

(ألم نخلقكم من ماء مهين)

وستتناول هاتين الآيتين بالبحث في موضوعهما بشيء من التفصيل ، فـ
(كفات) هنا مصدر من "كفت ، يكفت" ، معناه :

"أسرع في العدو والطيران وتقبض فيه" (لسان العرب)

"أسرع في الطيران والعدو وتقبض فيه" (القاموس المحيط)

ووفق ما وصل إليه تحقيق إمام اللغة والأدب الزمخشري أن اللفظ

(كفات) لكونه من جماع الأبواب "فعال" يعد اسم آلة يشير إلى من يصدر عنه
هذا الفعل :

"هو اسم ما يكفت"

وهذا ما رجحه كبار المفسرين من الإمام الرازى والقاضى البيضاوى
والعلامة الآلوسى وغيرهم ، وعلى سبيل المثال إن لفظ "شد" معناه ربط ،
والرياط الذى يشد به يسمى "شداد" بطريق اسم آلة ، على هذا فالشيء الذى

* الأمين العام للأكاديمية الفرقانية، بنجلور، الهند ، وعضو الهيئة العالمية للإعجاز
العلمى في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

يسرع في الطيران ويقتبض فيه يسمى بـ (كفات) بعينه، وعلاوة على ذلك من المعلوم كذلك أن استعمال (الأرض) هنا أيضاً على سبيل الجنس ، ومما شبهت الأرضي هنا بـ (كفات) تكشف من ذلك أهم الحقائق الطبيعية ، وفي طليعتها دوران سائر الأرضي بما فيها أرضنا هذه بسرعة حثيثة! ليعلم أن أرضنا تسعى حول الشمس في مدارها بنسبة مائة ألف كيلومتر في كل ساعة ، والحقيقة الطبيعية الأخرى منها هي بيان أن الأرضي تقبض أطرافها خلال الطيران السريع ، ومن هنا فبديهي منطقياً أن الأرضي تدور ممددةً أطرافها قيل قبضها ، وذلك لأنه لا يمكن قبض الأطراف إلا إذا كانت ممددةً من قبل ، فمعنى ذلك إذن أن الأرضي خلال الدوران تكون ما بين تمديد الأطراف تارة وتقبضها أخرى ، ثم بعد ذلك لقد أتي لهاتين الحالتين للأرضي بكلمات (أحياء) و (أموات) بالترتيب كحال لها ، أولهما جمع "حي" وثانيهما جمع "ميت" ، فمعنى ذلك أن الأرضي تكون حية في حال تمديد الأطراف وتعود ميتة في طور تقبضها ، وأيضاً فإنما ورد لفظ (أحياء) و (أموات) بصيغة الجمع ليعلم أن الأرضي لم يتعرض للموت والحياة مرة واحدة فحسب بل سلسلة الحياة والموت متواصلة فيها بكثرة ، فتأمل الآن هل لأطراف الأرضي هذه معنى سوى كرتها الهوائية! وبذلك يثبت من جديد وجود الأموات والحياة للأرضي في سياق طريف تماماً ، فيمكننا القول بذلك الآن بأن أرضنا تتبع بالحياة ممددةً أطرافها الهوائية في حين أن المريخ وغيره قد سقطوا أمواتاً مقبضةً إياها ، وتأمل أيضاً أن (الأرض) هنا بصيغتها المفردة كم تدل على جنسيتها بدون لفظ (السماء) ، وهذا مما يزيد ضابطتنا العمومية المذكورة ضمن البيان الثامن (المنشور في مجلة البحث الإسلامي ، أكتوبر ٢٠١١م ، ص : ٢٤) قوّةً وتوكييداً ، والآن لاحظوا الآية التالية مما يؤكّد البيان الحالي :

١٥ - (أَمْنِثُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ . أَمْ أَمْنِثُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ تَذَرِّرُ . وَلَقَدْ كَذَّبُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ . أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضُنَّ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ . أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لِكُمْ يَصْرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ) الملك: ١٦ - ٢٠

من الألفاظ القرآنية يتبيّن أن الخطاب في هذه الآيات عام ، و (الطير)

هنا جمع "طائر" مما يستعمل لغير الطيور أيضاً في هذا المعنى كما قال شاعر العرب المعروف "العنبري" :

"طاروا إليه زرافات ووحدانا"

من أجل ذلك استعماله شائع للطائرة أيضاً ، ففي هذا المعنى الثاني قد استعمل هو في هذا البيان بما أن الطيور لا يمكنها قبض أجنحتهن عند الطيران مما أشار هنا إلى ذلك لفظ (يقبضن) ، وكذلك لا يصلح هذا التعبير لرففة الطيور أو صفقها لعدم ملائمة لفظ الطير مع هذين المعنيين ، وإنما يحتمل عدم المراد بذلك الطيور أصلالة بهذا الاعتبار أيضاً ، لأنه بعد بيان طمس الأمم العاصية الماضية عن صفة الوجود في الآية السابقة أورد (أولم يروا) كدليل لها لتحريض الإنسان على الاعتبار بالطير التي تطير في السماء ، فذلك قد يكون المقصود من هذه الإشارة إلى حقيقة ما مهمة ، وليس في الطيور وهي تبسط أجنحتها أو تقبضها من حقيقة يتعظ بها ويعتبر .

من الأمر الواقع أننا إذا استعرضنا بامان في هذه الآيات الخمس الترابط وجدنا أن هذه الآيات المتضمنة الوعيدات الإلهية يتراربط كل منها بالأخرى منطقياً للغاية ، فما شبهت الأرضي في البيان السابق بـ (كفات) يتم تفصيله هنا على سبيل الكناية بقوله (الطيرو فوقهم صافات ويقبضن) ، وكذلك ما ورد هنا من ذكر طرأ الموت والحياة على الأرضي ، فإن هذه الآيات تصوره في صورة الفلسفة الشاملة من التخليق والتخريب والتكميل والتغريب ، ومن ذلك فهذه الآيات تعلمنا وتلقينا أن لا نأمن بحال من عذاب الله تعالى وعقابه حيث قد أهلكت الأمم العاصية المتمردة من قبلنا ، ثم بعد بيان القضاء على هؤلاء العصاة يوجه إلينا هذا السؤال مباشرةً كدليل بقصد العبرة : أفلم نر الأرضي تدور بسرعة فوقنا التي منها ما تتمتع بالحياة باستطاعة أطرايفها ومنها ما تتعرض للموت قابضةً إياها بسبب العذاب؟ فكأننا نتبه على أن نأخذ العبرة بمن فوقنا من الأمم التي أهلكت وأبيدت مع أراضيها حتى هذه الأرضي بنفسها أيضاً بسبب ذلك لا تزال تبقى حتى الآن مجدها قاحلةً جراء .

فهذه التعبيرات القرآنية (صافات) و (يقبضن) هنا التي أوردت كصفة للأرضي بغية تصوير حاليها الحية والميتة تحمل في غضونها بصيرة أخرى لنا ، وهي أن أولاهما من حيث التركيب اللغوي اسم فاعل في أن آخرهما فعل

مضارع، ويقتضي العقل والمنطق أن تورد الصفة الثانية أيضاً كاسم الفاعل أي "قابضات" لأن أولاهما أوثق وأدوم وصفاً بالنسبة إلى آخرهما المؤقتة ، فيظهر من ذلك أن القرآن ، عدولًا عن هذا الأسلوب الشائع الدارج ، لم يورد هاتين الصفتين من نوعين مختلفتين إلا لأجل الحصول على هدف مزدوج ، الأول أن يحفظ الإسلام من تهمة السخافة ما كان يمكن أن يعود عليه في العهود السالفة في حال استخدام لفظ "قابضات" وكذلك أن لا يثور في الأذهان هذا السؤال أنه كيف يمكن للطvier أن تطير في السماء قابضةً أحتجتها تماماً بينما كلمة (يقبضن) تمنع من أن يثور الاعتراض إلى حد مؤقتاً .

ومن الهدف الإلهي الثاني - كما يبدو - من هذا التغيير في أسلوب البيان أن يطلع الإنسان عند اكتشاف المعاني الحقيقية لهذه الألفاظ المذكورة على هذه الحقيقة الرائعة أن الله تعالى لم يكتف في السماوات بخلق الأرضي المحملة بالخلوقات الإنسانية فحسب التي بعضها حية باسطةً أطرافها وبعضها ميتة قابضةً إياها في نفس الماضي ، بل إن هذه السلسلة من التخليل والتخييب التي تحمل العبرة للإنسان لا تزال جارية بكل القوة على مسرح العالم ، والتي يشهدها مكان ما في السماوات باستمرار ، وكل ذلك لإثارة روح الرجوع والإنابة إلى الله في الإنسان .

ثم (ما يمسكهن إلا الرحمن) تزيد هذا المفهوم قوّةً بحيث إن هذه الأرضي رغم إبادتها والتزوير منها الحياة ليس بقاوئها في الجو إلا بإمساك الله الرحيم وحفظه بكل قوّة ، وذلك لكي لا تفقد اتزانها نتيجةً لهذا وتحطم وتتفتت بالاصطدام بالسيارات الأخرى ، ثم بعد ذلك تواينبه الإنسان بقول (أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم) على أن من ذا الذي يستطيع أن يدفع عنا مثل هذا العذاب إذا نزل هو علينا أيضاً ، ثم بعد ذلك في الآية الخامسة والعشرين (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) بيان سؤال الكفار عن تكميل ما وعد لهم الله به من هذا العذاب ، والذي تجib عنه الآية اللاحقة (قل إنما العلم عند الله ، وإنما أنا نذير مبين) يجعل علمه مختصاً بالله فقط ، وعلى أثر ذلك في الآية الثلاثين (قل أرأيتم إن أصبح مأركم غوراً فمن يأتيكم بماء معين) ويعيد في أسلوب سؤالي بالقضاء على أرضنا أيضاً يجعل مائتها غائراً وتقبلاً أطراوفها. الهوائية من جديد مما قد سبق تفصيله ضمن البيان الثالث عشر ،

هكذا هذا الجواب في أسلوب السؤال مما يأول هذه الآية (أولم يروا إلى الطير فوقهم صفات وينقضن) تأويلاً علمياً أن الأرضي متى ولماذا تقبض أطراها ، فمعنى ذلك واضحأً أن كرة الأرضي الهوائية لا تتلاشى منها إلا إذا غار ماؤها عن صفحتها في الأعماق مما يشهد على ذلك اليوم علم الأفلاك الحديث بنفسه شهادة تجريبية وشهودية إزاء المريخ بكل صدق وأمانة ، هكذا هذه الآيات الخمسة عشرة من النصف الأخير من سورة الملك يتربّط كل منها بالآخر بأوثق الربط ، في الواقع أن هذه السورة في صفاتها كاسمهها تدور من مبتدئها إلى منتهاها منظمة حول فلسفة شاملة تتحدث فيها عما يقف وراء خلق الكون من غرض إلهي وتوضح ملك الله العظيم للمحيط بجميع السماوات والأراضي في أسلوب مفعم بالإيمان والرقة ، وستنقى ضوءاً على النصف الأول منها في الباب القادم مما يزيد استدلالنا هذا قوله .

فمعنى ذلك أن هناك مزيداً من الأرضي فيما جولنا التي يتواصل فيها خلق المخلوقات المكافلة من حين لا آخر ، فمن هذه الأرضي ما لا تزال تتبع بالحياة ومنها ما عادت مجده خرية بسبب نزول العذاب عليها ، ومنها ما تواجه الجدب والخراب على نحو متواصل ، وعلى ما يشير إليه (أولم يروا) هنا الكثير من الأرضي الحية أو الميتة يمكننا رؤيتها عيناً أو علمياً أيضاً ، هكذا هذان البيانان من الأخير مما هو يلخص كل ما سبق في هذا الباب من البيانات وينظمها في سلك واحد ، والأية التالية أيضاً مما يؤكّد هذا المفهوم :

١٦ - (ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ، ما يمسكون إلا

الله ، إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) النحل: ٧٩:

فالمراد بـ (الجو) عند أهل اللغة القديمي ما بين السماء والأرض ، (الصالح ، لسان العرب) .

وكذلك نقل عنهم معنى آخر لهذا اللفظ وهو الهواء (المفردات ، القاموس المحيط ، لسان العرب ، تاج العروس) .

إنما كان أريد به هذا المعنى الثاني آنذاك لأن الهواء وفق ما وصل إليه العلم في ذلك الزمن كان محاطاً بما بين السماء والأرض (لسان العرب ، تاج العروس) .

فلذلك بما أن وجود (الجو) كان محاطاً بما بين السماء والأرض ، والفرض الإلهي كان يتحقق في هذه الآية بمجرد هذا اللفظ المفرد ، فهنا يثور

في الذهن هذا السؤال : لماذا أضيف هذا اللفظ إلى السماء في (جو السماء) ؟ لأنه لم يمكن هنا التأكيد أيضاً ، لو كان الأمر كذلك لكان الاصطلاح "جو الأرض" أنساب لذلك ، على أن هذا اللفظ الإلهي في العصر الراهن قد وجد إلى الحل سبيلاً بيسراً وسهولة حيث إن العهد القديم لم يكن فيه تصور الفضاء شيئاً ، بينما انكشفاليوم أن الكرة الهوائية وفق ما وصل إليه علم الطبيعة تجربةً ومشاهدةً يقتصر ارتفاعها من صفحة الأرض على ألف وخمس مائة كيلوميتر فقط ويتبدئ وراءه بحر الفضاء الهائل الذي يجري إلى مليارات من السنوات الضوئية مسافة ، على هذا إذا كانت الكرة الهوائية تتعلق بالأرض فالفضاء يتعلق بالسماء ، فيظهر من ذلك بوجه أحسن أن الله تعالى لم يأت بهذا التعبير إلا عن تعمد للدلالة على فضاء السماء هذا ، هكذا كانت هذه الآية مما تثبت جو الأرض وفضاء السماء كليهما في صراحة وجلاء في تعبير بلغ رائع ، فتأمل الآن هل يمكن أن يكون معنى هذه (الطير) التي تطير في جو السماء شيئاً آخر - مثل ما استعملت في البيانين الآخرين - غير الأرضي ؟ فيثبت من جديد أن لفظ (الطير) قد أورد في معنى الأرضي على سبيل الكناية هنا أيضاً .

وأيضاً فعدم الإضافة في (مسخرات) يخبرنا بأن هذه الأرض كما جعلت مسخرة لنا في هذا الحين كذلك تلك الأرضي مسخرة لما يعيش فيها من المخلوقات الأخرى ، ولذلك فإن آية (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بعده تعلمتنا الدرس أن في هذا الأمر لآيات للمؤمنين ، وكذلك لا يغيب عن البال هنا هذا التشابه في التعبير حيث إنه كما جاء بضم (الطير) في البيان السابق التعبير (ما يمسكهن إلا الرحمن) كذلك جاء هنا التعبير المماثل بقول (ما يمسكهن إلا الله) ، والتشابه في الألفاظ يشير إلى اتحاد المعنى ، مما يدعو للتقصير هنا أنه ما أعظم الحقائق العلمية والكونية التي يشير إليها القرآن إشارة بليفة بمجرد إضافة واحدة والتي لا تتضح بجلاء إلا على وقتها المناسب ، ولتأكيد هذا المفهوم لـ (الطير) لاحظوا الآيات التالية أيضاً :

١٧ - (ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صفات ، كل قد علم صلاته وتسبيحه ، والله عليم بما يفعلون . والله ملك السماوات والأرض ، وإلى الله المصير) النور : ٤١ - ٤٢

في هاتين الآيتين بيان قدرة الله تعالى القاهره وسلطانه العظيم على جميع الكائنات المشتملة على السماوات السبع وما فيها من الأرضي ، لذا كون المراد هنا بـ (الطير) الأرضي المتصف بالحياة - التي جعلت للكون الوحدات العملية - أنساب كما في الآيات السابقة لا المخلوق الحقير بمثيل الطيور الباسطة أجنبتها ، لأنها ليس هذا محل ذكرها خلال هذا البيان العام الشامل ، ثم الفرض من إعادة (الطير صافات) بعد (يسبح له من في السماوات والأرض) تلقين الإنسان أن من في السماوات والأرضي من المخلوقات فقط لا يسبح لخالقه ومحبوده بل سائر الأرضي بنفسها التي تسكن فيها هذه المخلوقات أيضاً مشتغلة بالتسبيح والتحليل باسطة أطراها وواقة شاكرة على حياتها ، فتأكيداً نفس المدلول لـ (الطير صافات) يتم الإعادة في الآية اللاحقة (والله ملك السماوات والأرض) مرة أخرى للإخبار بأن هذا التسبيح والتحليل والشكر من قبل الأرضي إنما هو لأجل قدرة الله وسلطانه العظيم عليها ، ولا يفوتكم هنا هذا الاختلاف التعبيري من أن القرآن قد أورد للدلالة على الأرضي كلمتين معاً (الأرض) على سبيل الحقيقة و (الطير صافات) على سبيل الكنية والمجاز ، فيثبت من هذا وما سبق من الاستعمالات المشابهة الأخرى بوجه أحسن أن المقصود المزدوج من ذلك إبعاد المتقدمين من الواقع في الإشكال والاضطراب من جانب ، وإظهار الإعجاز العلمي والعقلي في كتاب الله تعالى على المؤاخرين من جانب آخر .

فمما تقدم في هذا الباب من المباحث حتى الآن يتضح أن القرآن يذكر قسمين مختلفين من العذاب مما يمكن نزوله على العباد العصاة قبل وقوع القيامة على مجموع الكون ، عذاب ينزل على أي منطقة أو قرية بصفة جزئية ، فمثلاً تلك الأعدنة المختلفة التي وقع نزولها في فترات مختلفة على الأمم العديدة من الجيل الإنساني الحالي من قوم نوح وقوم لوط وقوم هود وغير ذلك من الأمم ، وعذاب آخر يفتش أرضاً ما يعمومها ويطمس ما عليها من المخلوقات عن صفحة الوجود كلياً مما يعبر به القرآن عن موتها ، فهذا العذاب الثاني هو الذي يهمنا الآن في هذا البحث ، فالقرآن يتعرض لبيان فلسفة هذا العذاب العام على مستوى الكون بقوله :

١٨ - (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به ثبات

الأرض مما يأكل الناس والأنعام ، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حسیداً كأن لم تفن بالآمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتكلّرون) ٢٤ : يومنس

من الألفاظ القرآنية يتبيّن أن الخطاب هنا عام مما يستبطئ أنه يمكن المراد بالحياة الدنيا المذكورة حياة أي أرض من الأراضي ، وأيضاً فلما أن (الأرض) قد وردت هنا في سياق (السماء) فلذلك هذا التركيب يضم سائر الأراضي الكونية ، هكذا هذه صورة بلية رائعة لطور حي كامل للأراضي ، وما سيق في البيان الأول من الحديث إنما كان عن بث كل نوع من أنواع الحياة في الأرضي بعد إحيائها من حالتها الميتة بإنزال المطر من السماء ، وه هنا يبيّن نفس الحقيقة بشيء من التفصيل بحيث إن المطر نزل من السماء فعادت الأرضي حية ونبت فيها النباتات فخلق الإنسان والأنعام ليأكله ، وحصلت نتيجة ذلك التطورات المادية على مرور الأيام مما جعل الإنسان ينساق وراءها ويتأتي بكبر صناعاته ويفتر بصفعده ورقيه ، حتى تأسى معرفة الله تماماً ونبذ الروحانية وراء ظهره فأدركه عذاب الله بفتة حتى أباد وجوده عن صفحة الأرض ، وليس وجوده فحسب بل أبيبـت معه جميع مظاهر الحياة ومقوماتها كذلك ، هكذا عادت الأرضي ميتةً من جديد كأن لم تكن عامرةً من قبل ، وهذه الأرضي تبلغ من الإبادة والتدمير إلى أنه لو شاهدـها أحدـ بعدهـ لتردد في جعلـها فيـ عددـ نفسـ الأرضـي : (فجعلـناـهاـ حـسـيدـاـ كـأـنـ لمـ تـفـنـ بـالـآـمـسـ) ، فلذلك تأملـ الآـنـ منـ جـديـدـ بـعـينـ الـاعـتـبارـ أـنـ ماـ أـصـدـقـ ماـ يـصـورـهـ هـذـاـ التـعبـيرـ القرـآنـيـ البـلـيـغـ الـوـجـيزـ عـنـ الـمـرـيـخـ وـغـيـرـهـ مـنـ الـأـرـضـيـ التـيـ وـصـلـتـ الـمـعـلـومـاتـ وـالـمـشـاهـدـاتـ عـنـهـاـ إـلـيـنـاـ بـشـيءـ مـنـ التـفـصـيلـ ،ـ فـهـذـاـ هـوـ السـبـبـ الـذـيـ جـعـلـ عـلـمـاءـ الطـبـيـعـةـ الـيـوـمـ يـتـرـدـدـونـ فـيـ جـعـلـهـاـ فـيـ عـدـدـ الـأـرـضـيـ مـنـ عـدـمـهـ رـغـمـ الدـلـائـلـ وـالـشـواـهدـ عـلـىـ ذـلـكـ ،ـ وـالـقـرـآنـ يـوـضـعـ مـاـ بـيـنـ مـوـتـ الـأـرـضـيـ وـحـيـاتـهـ وـبـيـنـ الـمـاءـ مـنـ صـلـةـ وـثـيقـةـ فـيـ مـوـضـعـ آـخـرـ .ـ

(يتبع)

من شواهد الطبع على إحكام أحاديث وإعجازه

الأستاذ قاسم على سعد

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيد الأولين والآخرين ،
نبينا محمد بن عبد الله ، وعلى آله الطيبين الأطهار ، وصحابته الميمانيين
الأخيار ، ومن اقتضى أثراً لهم ، واحتفظ مثالهم إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن نبينا صلى الله عليه وسلم أُوتِي جوامِع الكلم ، وألهِم روائع الحكم ، واختصر له الكلام اختصاراً ، وكان منطقه صلَّى الله عليه وسلم وحياً ، وحديثه صدقـاً ، وحاله قدوة .

وقد هيأ الله له أصحاباً برةً، وعوا أقواله، وارتسموا أفعاله، وامتثلوا أخلاقه، دينهم سنته، ودنياهم صحبته، وخلفهم على ذلك الأتباع، فحملوا الأمانة على وجوهها، وأدوها صافية غير منقوصة، وتعاهدوها كابراً عن كابر، فاتت أكلها كل حين ياذن ربها.

فبقي الدين غضاً طرياً ، وظللت السنة منارةً سنيةً ، تتهاوي دونها الأباطيل والترهات ، وتتلاشى أمام حقائقها الشكوى والشبهات ، وفي كل مرة كان المشككون يفكرون وقدرون ، وتنتفخ السننهم بدعوي زائفة ، يروجونها باسم العلم والثقافة تارة ، ويقدمونها بمسوح التمدن والتحضر تارةً أخرى ، ويقلدون في ذلك الأخلاف والربيع ، ثم يأتي العلم الذي تمسحوا به فينقض غزلهم ، ويصيّب بنائهم من القواعد ، فيخر عليهم السقف من فوقهم .

لقد تجراً الكثير من الناس اليوم على نقد الأحاديث الصحيحة الثابتة - بعضهم بحسن نية ، وكثير منهم بخبث طوية - وأحسن أحوالهم أنهم لم يستسيغوها بعقولهم القاصرة ، ولم تستمرئها أحلامهم الضعيفة ، لما استشعروه فيها من تعارض في المعانى ، ولما توهموه من تضاد في المضمون .

مع أن الإسلام نفسه هو الذي علم الناس الحذر من أن يكونوا زاملةً للأخبار المضادة ، ذات المعانٍ المترافرة ، موجباً عليهم التتحقق والتثبت والتبصر ، وفي الوقت ذاته نهفهم عن التسريع والتقطيع والقول بغير علم ولا هدى .

وعلماء الحديث - لا سيما في القرنين الخمسة الأولى - أثروا أعمارهم في

خدمة السنة وروياتها بحثاً وتحقيقاً ، ونقداً وتعليقأً ، مفرقين بين الصحيح والطريق ، ومميزين الوثيق عن الظنين ، واحتاطوا لذلك أشد الحيطة ، ولم يغفهم صلاح الناقل ورغبته في الخير ، فوضعوا كل شيء في ميزان النقد الذي لا يحابي ، والذي لم تعرف له البشرية نظيراً ، مما دفع المستشرق الإنجليزي الشهير مرجليوث لأن يقول : "ليفتخر المسلمون ما شاؤوا بعلم حديثهم !".

و تلك الدقة العلمية العالية التي بلغها جهابذة الحديث ، جبهها البعض اليوم - وإن بلباس الدفاع عن السنة - بنقد متهافت ، وتسرع متهالك ، يفتران إلى أدنى درجات الموضوعية العلمية التي يزعمها هؤلاء لأنفسهم .

وأشير من ذلك الفتاء والتشفيف ، إلى كتاب سماه مسوده : (نحو تقييل قواعد نقد متن الحديث ... دراسة تطبيقية على بعض أحاديث الصحيحين) ، وضمنه فصلاً بعنوان : (مختلف الحديث ومتعارضه في الصحيحين) ، حشد فيه جملة من المتعارضات عنده في عقله ، بل ليته كان كذلك ! ، لأنه في الحقيقة قد توکأ على صيوان الآخرين ، واستروح إلى زلاتهم ، ولله در القائل : صور العمى شتى وأقبحها إذا نظرت بغير عيونهم إلهام

وقد التقطت من متعارضات هذا الكاتب مثلاً واحداً فقط لأدريسه على مهل ، ولاستكشف من خلاله مبلغ علمه ، ومدى أمانته ، والمثال هو ما عبر عنه بقوله : " هل يكتب الملك أجل ورزق ومصير الإنسان: بعد اثنين وأربعين ليلة فقط من انعقاد نطفته ؟ أم بعد أربعة أشهر ؟ على الأول : حديث تفرد بإخراجه مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا مر بالنطفة اشتان وأربعون ليلة ، بعث الله إليها ملكاً ، فصورها ... الحديث) ، وعلى الثاني : حديث أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود نفسه ! قال : حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدق : (إن أحدكم يجمع خلقه ... الحديث) وبين الروايتين تقاؤت واضح ، فالأخيرة تفيد أن الكتابة المذكورة بعد أربعة شهور ، والأولى تفيد أن الكتابة بعد اثنين وأربعين يوماً .

ثم أردف الكاتب تعليمه قائلاً : " ومما يؤكّد عدم صحة الرواية الأولى ، ويرجح الثانية عليها أن التصوير وخلق السمع والبصر والجلد واللحم والعظم لا يقع عقب الأربعين الأولى ، بل يقع في الأربعين الثالثة ، وهي مدة المضفة ، كما قال تعالى : (ولقد خلقنا الإنسـانـ من سـلـالـةـ مـنـ طـيـنـ ثـمـ جـعـلـنـاهـ نـطـفـةـ فـيـ قـرـارـ مـكـيـنـ ثـمـ خـلـقـنـاـ نـطـفـةـ عـلـقـةـ فـخـلـقـنـاـ عـلـقـةـ مـضـفـةـ فـخـلـقـنـاـ مـضـفـةـ عـيـنـاـ)

فَكَسَوْنَا الْوَظَامَ لِحَمَّاً ثُمَّ أَنْشَأَنَا حَلْقَاهُ أَخْرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ
(المؤمنون : ١٤-١٢) .

هذا كل ما ذكره مسود الكتاب في هذين الحديثين ، مستدلاً بما ليس بدليل على ما ادعاه ، ومتجاهلاً جميع اجتهادات الأئمة من الفقهاء والمحاذين في التوفيق بينهما ١١ ، مما قدمه القاضي عياض وابن الصلاح وأبو العباس القرطبي وتقي الدين بن تيمية ، وكذلك ابن القيم وابن رجب وابن حجر ، وغيرهم من الأعلام ، أعرض عما قدمه هؤلاء من جمع بين الحديثين ! ولم يلتفت إلى شيء منه البتة ١ ، فإن كان الكاتب لم يرتضى ما قدّمه شراح الحديث من اجتهادات توفيقية ، أو لا يحب أن يرتضيه ١ ، وأن يستفيد من علم هؤلاء الأئمة من الفقهاء والمحاذين ، لأنهم فقهاء ومحدثون ، مما يضيره لو سأله طيباً حاذقاً عن مضمون حديث حذيفة الفقاري رضي الله عنه الذي ردّه ، فسيخبره ذلك الطبيب النطاسي بأن هذا الحديث فيه إعجاز تخضع له الرقاب ، وتذعن لعظمته الآلباب ، ولا يمكن أن يصدر في ذلك المتقدم عن اجتهاد بشر ، مهما بلغت عبريته ، وتسامت معرفته ، واتسعت خبرته .

فمن أجل هذا التجربة السافر على حديث النبي صلى الله عليه وسلم باسم الذب عن الإسلام ، أقدم هذا الأنموذج ، لتكشف الحقيقة ، وينجي الغبار ، وليميز المتجهد عن المجتهد ومن راقب هؤلاء القوم فسيجده على مسلك واحد ، لم يبن على عقل ، ولم يتوسّس على علم ، وإنما هو التشوش والتشفيف والإثارة .

أقدم الآن مثالاً من خزانة المثل ، على شهادة العلم التجريبي الحديث ، الذي بلغاليوم كل مبلغ ، شهادته على إعجاز الحديث النبوى الشريف ، وأنه - كما قيل - لا يأتي بما تحيله العقول ، بل قد يأتي بما تحار فيه العقول ، أضرب مثالاً من علم الطب خاصة على إحكام السنة ، وأنه لا عوار فيها ولا اختلاف ، ولا خطأ ولا تضاد ، بل يصدق بعضها بعضاً ، ويفسر بعضها بعضاً ، وإن زعم الزاعمون ، وتطاول المرجفون .

والحاديثن اللذان ادعى ذاك الكاتب التعارض بينهما هما : حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : " حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدق - : أن أحدكم يجمع خلقه في بطنه أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضافة مثل ذلك ، ثم

يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات ، ويكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ... الحديث " . وكذلك حديث حذيفة بن أسيد ييلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا مر بالنطفة شتان وأربعون ليلة ، بعث الله إليها ملكا ، فصورها وخلق سماعها وبصرها وجلدتها ولحمها وعظماتها ، ثم قال : يا رب ، أذكر أم أنشى ؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول : يا رب ، أجله ؟ يقول ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول : يا رب رزقه ؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده ، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص " .

والإشكال بين حديث ابن مسعود وحديث حذيفة الغفاري رضي الله عنهما ، راجع أساساً إلى زمن إتيان الملك للكتابة وغيرها من المهام ، في حديث ابن مسعود بعد المضفة ، وفي حديث حذيفة بن أسيد بعد أربعين يوماً ، وقد بين الكثير من العلماء أنه لا تعارض بين الحديثين حقيقة .

وأكثر فقهاء أهل الحديث اعتمد الجمع بين الحديثين ، وإن مال البعض القليل إلى الترجيح ، فرجح حديث ابن مسعود رضي الله عنه على حديث حذيفة الغفاري رضي الله عنهما على سبيل الاحتمال لا الجزم .

فأما الجماهير الذين ارتضوا الجمع فقد اختلفت طرائقهم فيه على مسارين رئيين ، كل واحد منها مشتمل على أكثر من قول أو اتجاه :
فالمسار الأول : في التوفيق بين الحديثين من غير حمل لأحدهما على الآخر ، وأن كل واحد منها له معنى لا ينزعه فيه الآخر ، وتحت هذا المسار أقوال :
الأول : تكون الكتابة أوائل مرحلة العلقة ، وأما التصوير فيتم بعد مرحلة المضفة ، قاله الجمهور .

الثاني : تكون الكتابة مرتين ، مرة بعد الأربعين ، ومرة بعد مرحلة المضفة عند التصوير .

الثالث : اختلاف الأجنحة في زمن الكتابة ، فبعضها تكون الكتابة في حقه بعد الأربعين الأولى ، وبعضها بعد مرحلة المضفة ، وأما التصوير فلا يكون إلا آخر الأمر .

وأما المسار الثاني : ففيه التوفيق بين الحديثين بحمل أولهما على الآخر ، أو حمل الآخر على الأول ، وأن المراد فيهما واحد ، ولا معارضة بينهما في الحقيقة ، وتحته اتجاهان :

الأول : حمل حديث ابن مسعود على حديث حذيفة الغفاري رضي الله عنهما ، بقولهم : التصوير والكتابة يكونان في مرحلة العلاقة كما هو متربع حديث حذيفة الغفاري رضي الله عنه ، ولم يتعرض حديث ابن مسعود رضي الله عنه لوقت التصوير ، كما لم يخالف - حقيقة - في زمان الكتابة .

الثاني : حمل حديث حذيفة الغفاري على حديث ابن مسعود رضي الله عنهما ، بقوله : الكتابة والتصوير لا يكونان إلا بعد طور المضفة ، فيكون بذلك حديث ابن مسعود مفسراً لحديث حذيفة رضي الله عنهما .

وما كان الحديثان مرتبطين بعلم الطب لزم الرجوع إلى ما توصل إليه هؤلاء العلماء في هذا المقام ليس استفاد من تشخيصهم وتوصيthem ، وأبدأ بالأطباء القدامى وألحق بهم القوابل من النساء لكثره مراقبتهن لذلك ، وعامة أقوالهم متفرقة على أن تخلق الجنين يكون في نحو الأربعين يوما ، وبذلك تبعد الشقة بين ما ارتضاه الكثير من فقهاء أهل الحديث من جهة ، وما خبره جماهير الأطباء وشاهدته القوابل من النساء بأم العين من جهة أخرى ، (وما رأى كمن سمعا) .

وأما الطب الحديث المواكب للتقنيات ، فقرب جدًا من طبعنا القديم في الخلاصات ، مع تميز الحديث بالتدقيق والتحديد بطبيعة الحال .

وقد توصل الأطباء اليوم بالدليل القاطع ، والبرهان الساطع ، إلى أن عملية التخليق لا تحتاج إلى عدة أربعينات ، لأنها تتم في الأربعين الثانية ، وأن اكتمال الأطوار الثلاثة : النطفة والعقلة والمضفة ، لا تتجاوز الأربعين يوما ، وهذا ليس مجرد رأي أو تظير ، وإنما هو حقيقة علمية ثابتة .

لذا يتراجع حمل حديث ابن مسعود على حديث حذيفة الغفاري رضي الله عنهما ، من أن الأربعين الثانية ، بل النصف الأول منها ، تتم فيه عملية التخليق والتصوير ، وأن الأربعين الأولى تكتمل فيها الأطوار الثلاثة .

وأما ما ذكر من أربعينات ثلاثة لتلك الأطوار الثلاثة ، فهو محض اجتهاده في حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، يؤجر عليه أصحابه ، وليس في الحديث تصريح به ، وما ورد من تصريح في بعض الأحاديث الأخرى ، فلا حجة فيه لضعف تلك الروايات .

ورواية مسلم لحديث ابن مسعود رضي الله عنه فيها دلالة غير خافية ، على أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما يتحدث عن أربعين واحدة للأطوار الثلاثة ، وهو ما يتوافق مع حديث حذيفة رضي الله عنه الذي فيه أن الكتابة

والتصوير يتحققان بعد استقرار النطفة في الرحم بأربعين ليلة أو نحوها ، والكتابة والتصوير يكونان بعد تلك الأطوار الثلاثة .

وكلمة (في ذلك) عند مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه تتبئ بتلك الأربعين الواحدة ، خلافاً لما فسرها به بعض علمائنا السابقين ، وعذرهم أن الطب في زمانهم لم يمتلك الوسائل المقنعة المتوافرة لأطباء اليوم ، وأقرب تفسير لتلك الكلمتين : (في ذلك) و(مثل ذلك) ، ضمن قوله صلى الله عليه وسلم : (ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضفة مثل ذلك) أقرب التفاسير أن يقال : ثم يكون في ذلك الوقت ، أي في الأربعين ، مثل ذلك الجمع غير المصور ، أي الذي لم تظهر آدميته .

وبذلك تجتمع الأدلة ، وتتالّف النصوص ، وتتوافق الأحاديث .

وأما من مال من علمائنا السابقين وهم قلة قليلة إلى ترجيح حديث ابن مسعود رضي الله عنه على حديث حذيفة الغفارى رضي الله عنه ، فيعذر أيضاً - وإن كان ينبغي زيادة التأني في أحاديث الصحيحين - ، يعذر لأنه لم يتبيّن له وجه قوي للجمع ، في وقت لم يكن فيه للطلب ذاك التطور والاشتهر ، ومعلوم في فمن مختلف الحديث أن الترجيح لا يصار إليه مع إمكان الجمع ، وقد أمكن والله الحمد ، من غيرتكلف ولا تعسف ، ومن عرف حجة على من لم يعرف .

وبعد هذا كله ، على اختصاره وإيجازه أقول .

ليس من العلم والتحقيق أن يجعل الاختلاف الظاهري وسيلة لرد الأحاديث النبوية الصحيحة .

وليس من الإنصاف والأمانة أن يرکن إلى التعارض غير الحقيقي ، دون التفات إلى أهل الاختصاص من القدماء والمحدثين .

وليس من البر والاستقامة أن يتلقى المسلم كل دسيسة على الدين ، ليرضى غروره ، ويتمتع قبيله .

وليس من الثقاوة أن يعتز المسلم بغير كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وليس من خلق أهل الإسلام أن لا يحسن المسلم الظن بأصوله الموثقة ومصادره المحفوظة .

وليس من العقلانية والتجدد أن يتطاول المرء على صرح السنة القويم بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

أهم جزر العرب وقبائلها

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

بكلم : العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني التدويني

تعریف : محمد فرمان التدویني

بنو قحطان :

كانت اليمن مقر بنى قحطان ، ثم صارت أرض اليمن وماجاورها من المناطق ، بل جزيرة العرب كلها أصل موطنهم ، وأقامت فيها أجيالهم إلى زمن طويل ، ولما انهدم سد مأرب (سد منيع في سبا) فقدت هذه الدولة مكانتها التجارية خرجت بعض أجيالها إلى مناطق أخرى في جزيرة العرب ، بحثاً عن أسباب الحياة ، فسكنت بعض قبائلها في شمال جزيرة العرب أيضاً .

كان سباً جد ذريات بنى قحطان ، فكان في ذريته قبائل أخرى كبيرة، يُعرف بعضها بحمير ، وبعضها بكهلان ، مر ذكر سباً في العصر الأول ، وتذكر قبائل حمير وكهلان في العصرين الثاني والثالث .

حمير بن سبا :

كانت قبائل حمير بن سباً عامةً على السواحل الجنوبيَّة في اليمن ، وازهرت بعد سقوط قبائل سباً ازدهاراً ملحوظاً ، واستوطنت سواحل جنوبية وغربية في اليمن ، وكانت عاصمتها مدينة ظفار ، التي تبعد من ميناء " مخا " في الشرق ، ولم تكن قبائل حمير زمرة قبائل سباً أصحاب سلطة قوية ، ولا أكثر تطوراً ، وبالرغم من أنهم يملكون زمام الحكومة ، كانوا مغلوبين ، لكنهم ازدهروا بعد سقوط سباً ، وخلفوها في مجالات التجارة ، وكان ملوك الحكومات الحميرية يُسمون بحمير ، ثم يُشع ، وتبع فرع من الحميريين ، ملوك الحكومة في آخر عهود الحميريين .

إن قباعة كانت أكبر قبائل حمير ، فاستولت على جميع قبائل حمير بعظامتها وسلطانها ، وسميت هذه القبائل من بعد بقبضة ، وكان من أولاد قبعة قبيلة بهرة ، وجرم ، وراسب ، وتوخ ، وجهينة وعدنة ، ونهد ، هاجرت قبيلة توخ إلى الشام وأقامت فيها ، وكان فيها الشاعر المشهور أبو

العلامة المغربي ، وهاجرت جهينة إلى الحجاز وسكنت فيها ، ونزلت قريباً منها بنو عذرة أيضاً ، واشتهرت قبيلة بنو عذرة في الحب العذري ، فصار الحب العذري مثلاً للحب الظاهر النزيه ، وكان جميل بن معمر بطل هذه القبيلة ، الذي يحب بشينة كثيراً ، وتميز شعره بانطباعات خاصة بشينة ، وكان في أولاد حمير قبيلة شعبان ، ينسب إليها الفقيه الشعبي ، كما ينتمي إلى قبيلة حمير زيد الجمھور ¹ وسكانها .
كھلان بن سبا :

كان هذا الفرع أكبر فروع قحطان ، توجد فيها قبائل كثيرة ، وأهمها كما يأتي : همدان ، طيء ، مذحج ، كندة ، أزد ، عاملة ، جذام ، أشعر ، ولخم ، كان جل إقامة همدان ومذحج في اليمن ، وكانت طيء بين جبال أجا وسلمى ، في شمال نجد ، وما زال بطن منها فيها حتى الآن ، ويسمى بشمر ، وتعرف هذه المنطقة أيضاً بشمر ، كما كانت تُعرف من قبل بجبال طيء ، وأقام كثير من شمر في بادية العراق أيضاً ، وظلت قبيلة طيء كبيرة ومشهورة ، إن بعض الرجال في البلدان العجمية يعرفون العرب بالطائي ، فسمي العرب في إيران بتاري ، وكان من أشهر رجال قبيلة طيء حاتم الطائي وأبو تمام والبحترى .

نزلت قبيلة أزد في عمان ، كما نزحت أزد شنوة في تهامة ، مهضت قبائل شهيرة متعددة من فرع أزد أيضاً ، كان فيها قبيلة غسان ، وقد أنشأت دولتها في الشام ، وكان آخر ملوكهم جبلة بن أبيهم ، وأشهرهم فيها النعمان بن منذر ، مدحه النابغة الذبياني أحد الشعراء المقدمين في العصر الجاهلي بقصائده الرائعة ، كما مدح سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه أيضاً آل غسان ، كانت عاصمة آل غسان جلق في ضواحي دمشق ، كما كانت بلقاء إحدى مدنها في الجنوب ، وفي فرع أزد قبائل الأوس والخزر ، الذين سموا بالأنصار بعد إسلامهم ، وسكنوا في المدينة المنورة ، وفي فرع أزد قبيلة مشهورة باسم خزانة ، وهذه هي القبيلة التي أجلت بنو جرهم من مكة المكرمة ، وأقامت مع بنو إسماعيل ، ثم أسيست نظام حكومتها أيضاً ، وبعد مدة

¹ زيد الجمھور بن سهل بن عمرو ، جد جاهلي ، بنوه بطن بن حمير (الأعلام للزرکلي)

طاردتهم قريش من مكة المكرمة قسراً .

هاجرت كندة إلى نجد وسكنت فيها ، وأسست هنا دولة صفيرة بتعاون من حكومة فارس ، فكانت تدعى بـ مملكة الحيرة العربية في العراق ، وكان آخر ملوكها والد أمرئ القيس أشعر الشعراة في الجاهلية ، الذي قتله قبيلة قيس غضباً عليه ، وانتهت هذه المملكة بموته .

وقبيلة أشعر ينسب إليها سيدنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ، وفي أولاد لخم فرع مشهور باسم بنى منذر ، أقاموا مملكة في الحيرة وسط العراق ، قرب أرض الكوفة ، ساعذتها حكومة فارس ، فكان هؤلاء تحت سيطرتها ، قرضا شعرا العرب قصائد كثيرة في مدح هؤلاء الملوك ، كان أشهر ملوكهم عمرو بن هند ، مدحه النابغة الذبياني مدحأ ، وكانت مملكته ممتدة من العراق إلى الأحساء .

بنو عدنان :

وفي ذرية قيدار قبائل عدنان ، التي نالت بفضل الله رقياً وازدهاراً ، وکسبت شهرةً واسعةً ، ولم يكن هناك أثر للقبائل الأخرى ، لا يمكن أن تشق كاملاً بسلسلة النسب من ذرية قيدار في بعض أولاده ، لكن سلسلة نسبه بعد عدنان كانت مشهورة بشهرة بنى عدنان .

انتشرت ذريات عدنان في الحجاز ونجد ، وشمال جزيرة العرب ، وقليل من فروع عدنان ذهبوا في مناطق قحطان ، إلا أن عدة قبائل قحطان أقامت في مناطق بنى عدنان .

كان ابن عدنان معدا ، وابن معد نزار ، وكان لزار أربعة أبناء مشهورين : ربيعة ، ومضر ، وأنمار وأياد ، لم يذكر أصحاب التراجم أحوال أنمار ، وأياد إلا قليلا ، لكن ربيعة ومضر ، أكثر قبائل العرب شهرة ، وأكبرها عدداً ، وهما من أجداد هذه القبائل .

ربيعة :

أقامت ربيعة أولاً في ضواحي نهر دجلة ، فانتشرت ذريتها في المناطق المجاورة لها ، وكان في أبنائها أسد وضبيعة ، وفي أبناء أسد عنزة وجديلة سوى أسد ، وفي أبناء جديلة عبد القيس وهنب ، وفي أبناء هنب النمر ووائل ، وفي وائل بكر وتغلب ، وفي أبناء بكر عجل ، وحنيفة ، وشيبان وسدوس ، وفي أبناء

شيبان ذهل ، وأقام أسد وعنة في شمال نجد ، وفرع من أسد هاجر إلى العراق وأقام هنا أيضا ، أما جديلة فأقام أولًا في عين التمر (العراق) ، ثم هاجر إلى خيبر وسكن فيها ، وسكنت في وطنها قبيلة طائية باسم غزية ، استوطن عبد القيس أولًا تهامة ، ثم البحرين ، وكان في البحرين عدد كثير من بكر وتميم ، فجرت منهم مقاومة ، لكنه سكن معهم ، وسكن نمر وتقرب على شاطئ الفرات في العراق ، وأما بكر فكان في شمالها ، تعرف دياره الآن أيضًا بديار بكر ، وهي الآن في حدود تركيا ، وبقية سكناها في نجد ، وسكن شيبان في شمال نجد ، وبنو حنيفة في اليمامة ، وبنو حنيفة أكبر قبيلة ، ادعى رجل منها بالنبوة ، وهو مسيلمة الكذاب ، قاتله سيدنا خالد بن الوليد في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه قتالاً شديداً ، فانهزم وقتل.

وكانت تغلب قبيلة كبيرة وشهيرة ، أقامت أولًا في وسط العراق الذي يعرف بالجزيرة ، وكانت من أتباع الديانة المسيحية عامه ، وكان كلبي سيدها ، الذي أقام مع قبيلته بنجد ، فلا يقترب في العصر الجاهلي أحد أشرف منه ، ولما قتل ثارت حرب شعواء بين بكر وتغلب ، امتدت إلى أربعين سنة ، وهي معروفة بحرب بسوس ، إن أول شاعر العربية المهلل بن ربيعة كان شقيقاً لـ كلبي ، وكان في هذه القبيلة شاعر مشهور عمرو بن كلثوم .
مختصر :

كان مضر شقيق ربيعة ، وظلت عداوة شديدة بين ذريتهما ، كأنها وزعا نصف شمال جزيرة العرب في منطقتين ، وكانت منطقة ربيعة جانبًا شرقياً ، كما كانت منطقة مضر جانبًا غربيًا ، وهما بمثابة دولتين ، وكلاهما عدوان لدودان ، لكن نظامهما كان قبلياً وجاهلياً ، سيأتي تفصيله في الصفحات التالية .

كان مضر ابنان شهيران : أحدهما قيس عيلان ، وثانيهما إلياس .
قيس :

كان في أبناء قيس عيلان هوazen وغطفان وباهلة وسکيم ومازن ، وفهم وعدوان ، وفي أبناء هوazen بنو سعد ، وعامر بن صعصعة وجشم وثقيف ، وفي أبناء غطفان عبس وذبيان وأشجع ، وفي أبناء عامر بن صعصعة كلاب وهلال ونمير ، وفي أبناء ذبيان فزاره ، وفي أبناء فزاره بدر ومازن .

سمى قيس بقيس عيلان ، لأن عيلان كان عبداً له ، رباء قيس بعانيا فائقة ، فالتحقه الناس بقيس ، وكانت هوازن وسليم في مناطق شرقية من مكة والمدينة ، غرب نجد ، فانتقلتا إلى مصر وإفريقيا بعد ظهور شمس الإسلام ، وكانت غطfan أكبر قبيلة ، لها فروع كثيرة ، سكنت قرب جبال طيء ووادي القرى في نجد ، ومن مواضعها الشهيرة الحصاء وأبرق الحنان ، كانت هذه القبيلة وقت شروق الإسلام بهذا الموضع ، خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى نجد لإصلاح أمرها في غزوة ذات الرقاع ، كان ابنا غطfan عبس وذبيان قبيلتين مشهورتين في التاريخ ، تعد حربيما في الفروسية حرباً تاريخية شهيرة في العصر الجاهلي ، امتدت إلى فترة طويلة ، كان في قبيلة عبس شاعر مشهور باسم عنترة بن شداد العبسي ، كانت شجاعته مضرب المثل في تاريخ الأدب العربي الجاهلي ، ولها معلقة غراء ، أبدى فيها شجاعته وبسالته ، أوقف سريان فاضلان هذه الحرب بمنح ديات المقتولين من كلا الفريقين ، مدحهما الشاعر الجاهلي المشهور زهير بن أبي سلمي في قصيدة خاصة ، وهي نادرة الوجود في المدح ، وجزء من المعلقات ، وكانت قبيلة ذبيان في شمال الحجاز .

كانت بنو سعد في شرق تهامة ، وكانت في هذه القبيلة ، مرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حليمة بنت ذوباب ، استوطنت ثقيف الطائف ، وكانت ثقيف أيضاً مشهورة وذات سلطة عامة .

إلياس :

كان إلياس شقيق قيس عيلان ، ويعرف أولاده بخنوف أيضاً ، وكانت خنوف زوجته ، وكان في أولاد إلياس طابخة ومدركة ، وقمعة ، وفي أبناء طابخة مزينة وضبة وتميم ، وفي أبناء تميم بنو العنبر وحنظلة ، وفي أبناء حنظلة يربوع .

وكان في أبناء مدركة هذيل وخزيمة ، وفي أبناء خزيمة الهون وأسد وكنافة ، وفي أبناء الهون الديش وغضيل (القارة) ، وفي أبناء أسد كاهل ودودان إن قبيلة تميم تعتبر من أكبر القبائل في الجاهلية والإسلام ، نبغ فيها شعراء وخطباء كثيرون .

يُقدم على سبيل المثال أوس بن حجر وجرير والفرزدق كشعراء ، وبنو

أهتم خطباء ، هؤلاء سكنا قبل الإسلام في ديار بكر وتغلب في نجد ، وكانت مزينة في الحجاز ، وكانت هذيل في جبال جنوب مكة ، وظلت هذه القبيلة مشهورة قبل الإسلام بكثرة شعرائها ، وجمع بعض المؤرخين أبيات شعرائهم في مؤلف مستقل ، ومن أشهر مواضع هذه الديار: الرجيع ، وبئر معونة ، وكان بنو أسد في مشرق تيماء .

كنانة وقريش :

كان النضر ولد كنانة ، ومالك ولد النضر ، وفهر ولد مالك ، يسمى بعض المؤرخين النضر بقريش ، وبعدهم فهرا بقريش ، وقريش لقب ، مشتق عند بعض اللغويين من القرش ، معناه: التجارة ، وعند بعضهم مشتق من القرش ، معناه: حوت كبير وخطير ، وتوجد في أبناء كنانة سوى النضر القبائل المذكورة أدناه: عبد مناة ، ومالك ، وبلكان ، وعمرو ، وعامر ، وفي أبناء عبد مناة غفار ، وبلحارث ، ومدلج وبنو بكر ، وفي أبناءبني بكر بنو ليث الدئل وضمرة ، وفي أبناء فهر بطنون تعرف بقريش ، وهي محارب ، وبنو الحلح ، وأبناء الحارث وتميم بن غالب ، ولؤي بن غالب ، وأبناء لؤي أسامة وكمب ، والحارث وخزيمة وسعد وعامر.

قريش البطاح :

ومن أبناء كعب بن لؤي بطن لقريش ، سكن داخل مكة ، وسمى بقريش البطاح ، أي سكان داخل مكة ، أما البطنون الأخرى لقريش فكان مقرها خارج مكة وماجاورها من المناطق، فسموا بقريش الظواهر، وكان مقرها منى وعرفات وغيرهما .

ومن أبناء كعب بن لؤي عدي ومرة ، وفي بطن عدي كان الصحابي المشهور وال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومن أبناء هصيص بنو جمح وبنو سهم ، وفي بني سهم كان الصحابي المشهور سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه .

مرة :

وكان في أبناء مرة تيم ويقطنة وكلاب ، وفي أبناء تيم الصحابي الجليل وال الخليفة الأول سيدنا أبو بكر الصديق وسيدنا طلحة بن عبيد الله ،

وكانا من العشرة المبشرة بالجنة ، أما يقطة فكان جداً لبني مخزوم فكان منه الصحابي المشهور خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن الأرقم ، ويُفيء أبناء كلاب زهرة وقصي ، أما زهرة فهو جد لأم النبي صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب .

١٣٦

قصي رجل عظيم في قريش ، انتقلت منه سيادة مكة من كانة إلى قريش ، إنه جمع بطون قريش ، وملأها نشاطاً وقوة ، فصارت مسؤولة عن نظام مكة وشئون بيت الله الحرام ، فلقب بالمجمّع ، ولا توفي قصي انقسمت هذه الشئون في عبد مناف وغيره من أعضاء أسرته ، وكان تفصيله على ما يأتي :

المسئولية في أبناء عباس بعد الإسلام

ونال عبد شمس بن عبد مناف مسؤولية اللواء والقيادة ، التي انتقلت إلى ابنه أمية ، ثم إلى ابنه حرب ثم أبي سفيان وعتبة بن الوليد بن شمس ، فأخذ لواء القيادة في حروب قريش ضد المسلمين ، وكانت مسؤولية رعاية الحجاج وخدمتهم على نوافل .

ونال عبد ود حجابة الكعبة ، وانتقلت منه إلى ذريته : شيبة وأبنائه ،
ويقيت بعد الإسلام في هذه الأسرة ، وكان حاجب الكعبة عند فتح مكة
رجلها العظيم عثمان بن طلحة ، أخذ منه النبي صلى الله عليه وسلم مفتاح
الكعبة ثم رده إليه .

وفوضت أمور الشوري إلى أسد ، وفيه رجال هذه الأسرة المشهورين زبير بن العوام ابن عممة النبي صلي الله عليه وسلم ، وورقة بن نوفل ، ابن عم خديجة رضي الله عنها .

وكانت عند تيم شئون المقتول وغيرها ، وفوست إلى مخزوم ابن يقطة بن مرة شئون الخيام والأفراس ، وإلى عدي شئون السفارات ، وإلى جمع شئون الاستقسام بالأسلام ، وإلى سهم شئون الخصومات الداخلية.

بقيت ضيافة الكعبة وحجاتها من بين الشئون المذكورة أعلاه ، في قبائل قريش ، أما المسؤوليات الأخرى فقد انتقلت من هذه القبائل إلى آخرين .

عبد مناف :

إن بطون عبد مناف بن قصي كانت أهمها وأكثرها تأثيراً في مكة المكرمة ، وكان في أبناء عبد مناف نوبل ، ومطلب وعبد شمس وهاشم ، كسب فيهم عبد شمس وهاشم شهرة واسعة ، وأسندت إليهما مسؤوليات مهمة ، واشتهر بنو أمية في أبناء عبد شمس ، وكانوا دائماً سابقين في الحروب .

هاشم :

كان هاشم والد جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما زال مساعدًا لأخيه عبد شمس في سياسة البلاد وإدارة نظام القبائل ، وكان بإشراف الحجاج وأكرامهم لدى هاشم ، فانتقل منه إلى أبنائه ، وكانوا يقومون به خير قيام ، وصار عبد المطلب بن هاشم أشهر رؤساء قريش ، وكان اسمه عامر ، فاشتهر في العرب بجوده وخدمة الحجاج ومواساة الفقراء والمساكين ومساعدة الناس عامة ، فكانه رئيس مكة ، وورثه أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووالد علي رضي الله عنه ، فكان يحمي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعدائه ويراقب أمره ونظامه .

عبد المطلب :

كان لعبد المطلب ١٢ ابناً : عبد الكعبة ، ضرار ، قثم ، حجل ، الفيداق ، أبو لهب ، الحارث ، حمزة ، العباس ، أبو طالب ، ووالد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وبينات عبد المطلب وهن عمات رسول الله صلى الله عليه وسلم ست : أم حكيم بيضاء ، أممية ، أروى ، برة ، عاتكة ، صفية ، فكانت صفية وسيدة الشهداء حمزة ، من زوجة عبد المطلب ، وبقية بنات عبد المطلب ووالد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووالدة أبي طالب من زوجة أخرى لعبد المطلب .

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ١٢ / ربيع الأول عام الفيل سنة ٥٧٥ م ، وقبل ولادته توفي أبوه عبد الله بن عبد المطلب ، فتولى رسول الله صلى الله عليه وسلم رعاية جده بدلاً من أبيه ، فعنى به عنابة لائقه ، ولما بلغ من عمره السادسة توفيت أمها ، ولما بلغ من عمره الثامنة توفي جده ، فتولى عنه عمه

أبو طالب ، أكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالنبوة في عهده ، ولم يسلم عمه أبو طالب الذي كان يحبه حباً جماً ، لأسباب مفروضة ، لكنه ظل مدافعاً في صيانة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتوافق عمه أبو طالب في العاشرة من نبوته ، وكان له خمسة أبناء ، وكان فيهم علي بن أبي طالب ، الذي صار أحد أصهار النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان عمره أقل من النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثين عاماً.

كان بطنان من بطون قريش وقت شروق الإسلام مشهورين ، وذوي سلطة ، أحدهما بنو هاشم ، وثانيهما بنو أمية ، وفي بنو هاشم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى بن أبي طالب وسيد الشهداء حمزة وعباس رضي الله عنهما عمما النبي صلى الله عليه وسلم ، وسميت ذرية علي رضي الله عنه بالعلوية ، وذرية عباس رضي الله عنهما بالعباسية ، وقد حكم آل عباس من القرن الثاني إلى السابع على رقعة كبيرة من العالم الإسلامي ، حكومة تاريخية .

كان من أهم رجال بنى أمية أبو سفيان ، ومروان ، وسيدنا عثمان رضي الله عنه ، وكان أبو سفيان قبل إسلامه رئيس قبيلته ، بل رئيس أهالي مكة ، وقد حكم سيادتنا معاوية وأبناء مروان منذ خلافة علي رضي الله عنه على مناطق واسعة من العالم الإسلامي ، وكان مروان أبو الحكم الأمويين ، كان الخلفاء الأمويون بعد معاوية بن يزيد بن معاوية من ذريته ، وسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه الخليفة الثالث وأحد العشرة المبشرة بالجنة .

وإن عمرو بن العاص حاكم مصر الذي كان أحد أصحاب معاوية رضي الله عنه في السياسة ، من بنى سهم ، وكان خالد بن الوليد الذي كان من المجاهدين الأبطال ، والقادة الإسلاميين ، من بنى مخزوم بن يقطة ، وإن أبي جهل الذي كان عدواً لدوداً للإسلام ، كان من بنى مخزوم أيضاً .

كان بنو أمية يعادون بنو هاشم وقت ظهور الإسلام ، وظلت هذه العداوة من بعد الخلافة الراشدة إلى مئة عام ، ثم صار آل عباس أعداء لبني أمية ، وقد حدثت حوادث غير مرضية بهذه العداوة على مدى التاريخ .



حركة الشعر الحر في الأدب العربي الحديث

الدكتور مراجح أحمد مراجن الندوى *

القرن الثامن عشر الميلادي كان ميلاد عصر جديد في كل ناحية من نواحي الحياة . نهض العالم وتغيرجرى التاريخ . تغيرت فيه أساليب الحياة وتحولت فيه أصناف الأدب من السجع والبديع والزخرفة إلى الأسلوب المرسل و السهولة والبساطة . شقت الثقافة العربية طرقاً جديدةً ومذاهب أدبية حديثة . تأثر الأدب العربي بالأداب الغربية ليس بالأسلوب والتعبير والشكل والمضمون فحسب ، بل في الأفكار والنزاعات والاتجاهات والتيارات . ظهرت قنوات الأدب المتحدثة والتجدد والتحرر والحداثة والشعر الحر . حينما اتصل العرب بالغربيين وكثير التمازج بين الشرق والغرب وعرف الشعرااء الأوزان الغربية ونبشوا وبحثوا عن دقائق الثروة العربية القديمة فوجدوا أنه لا بد من نهضة شعرية ، ومن إدخال الموضوعات الجديدة التي تتصل بالحياة المتغيرة . وهذه المذاهب هي مذاهب أدبية جديدة نشأت ونمطت في الغرب وفي فرنسا خاصةً وتتأثر بها الشعرااء العرب تأثيراً كبيراً ، ولا يفهم الشعر العربي المعاصر إلا على أساسها . يقول الأستاذ أحمد قبش في هذا الصدد : " حينما نهضت اللغة العربية من كبوتها وأخذت تستعد سيرتها الأولى في أوائل عهد النهضة الجديدة منذ مائة عام ، وجد رجال النهضة وكبار الشعراء فيها أن المعنى الصافي والمورد المستساغ هو في شعراء الأوائل فقلدوهم ، فإذا الشعر الحديث يرتدي حلقة قديمة ، وإذا الأوزان القديمة هي السائدة المعنية . وحينما كثرت التمازج بين الغرب والشرق وعرف الشعراء الأوزان الغربية ونبشوا دقائق الثروة العربية القديمة ، وجدوا أنه لا بد من نهضة شعرية فكانت المذاهب الأدبية الحديثة . " ١

الشعر الحر :

شهد القرن العشرون شعراً ذا لون موسيقى جديد ، أطلق عليه اسم الشعر الجديد أو الشعر الحر الذي يعتمد الشاعر فيه على التفعيلة - لا البيت ذي التفعيلات المتعددة - أساساً للنظم . ويختلف فيه عدد التفعيلات من بيت

* الأستاذ المساعد، ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة العالمية، كولكاتا (الميل).

١ تاريخ الشعر العربي الحديث : أحمد قبش ، ص ٧

إلى بيت مع العلم أن كل شطر في هذا الشعر الحر هو بيت ، سواء أكان فيه تفعيلة واحدة أم عدة تفعيلات ، يوزعها الشاعر حسبما تقضيه ذبذبات شعوره ودفعات عاطفته وخلجات قلبه .

بدأ الشعر العربي يتغير منذ بدايات القرن العشرين عندما يتحول من الشعر الفنائي إلى الشعر الدرامي ، فعرف القصة الشعرية والمسرحية الشعرية على يد خليل مطران وأحمد شوقي والأخطل الصغير . وكان الخروج على الوزن فيه يعد نتيجة طبيعية للمؤثرات الاجتماعية والثقافية من جهة ، ولتطور القصيدة العربية من جهة أخرى . ولم يبق الوزن والقافية في الشعر الجديد على النحو القديم ، بل طرأ عليها تغيير كبير إذ تحولت أصناف الأدب من السبع والبديع إلى السهولة والبساطة . فلم يعد الوزن مرتبطة بتفعيلات متساوية العدد في شطرين حسب الطريقة القديمة الملتزمة في الشعر العمودي . يمكن أن نطلق على الشعر الجديد اليوم اسم "شعر التفعيلة" لأن ركيزته الأساسية هي التفعيلة .

قال نسيب عرضة في قصidته "النهاية" :

كفنوه

وادفنوه

أسكنوه

هوة الحد العميق

واذهبوا لا تتدبوه

فهو شعب ميت

ليس يفيق

فها هنا جاء توزيع التفعيلات بحيث تكون واحدة تارة وتفعيلتين مرة ، وثلاثة مرات أخرى ، وهذا قد يوحى من حيث الشكل – أنها من الشعر الجديد ، ولكن لو أعددنا ترتيب كلماتها في الكتابة لأصبحت كما يلي :

كفنوه وأدفنوه أسكنوه هوة الحد العميق

واذهبوا لا تتدبوه فهو شعب ميت ليس يفيق^٢

وهذا يتضح لنا أنه موزون على بحر من البحور الفراهيدية مع تغيير جزئي . اختلف الباحثون في تحديد بوأكير هذا الشعر . فقد اعتبر البعض احتجاج أبي العتاهية على العروض التقليدية حينما قال : "أنا أكبر من العروض" هذه هي من المهدات الأولى للشعر الحر في الأدب العربي الحديث ، ومن المعلوم أنه بدأ الخروج

^٢ شعر العرب من النهضة إلى الانفاضة : محمد أيوب تاج الدين الندوبي ، ص ٣٧

على نظام التفعيلة والعروض . وذهب الباحثون بأن أصوله يرجع إلى المoshahat الأندلسية ، ولكن هناك فريقاً آخر يعتبر أن أولياته نظمت في أواخر العقد الرابع من القرن العشرين . أما الفريق الأول فيزعم أن المoshahat أصل الشعر الحر . فيرى أن المoshahat التي لا تسير على أوزان العرب المعروفة قد حطمت البحور العروضية وكثُرت أوزانها واعتمدت على التفعيلات الملائنة للألحان . وأما الفريق الثاني الذي يرجع بدايات الشعر الجديد إلى أواخر العقد الرابع من القرن العشرين فأقادمه نازك الملائكة ، وتزعم أن أول قصيدة في هذا المضمار نظمت قصيدها " الكوليرا " التي نشرت عام ١٩٤٧م . ويرى الدكتور منيف موسى : أن حركة الشعر الحديث لم تكن بداعاً أو نشأت في مناخها الأصيل ، بل هي مزيج من تراث الشرق العربي وحداثة أوروبا والغرب . لذا لم يكن ثمة جديد في هذه الحركة . وإن كل ما قام به الشعراء النقاد موضوع هذه الدراسة . كان محاولة توفيق بين الذهنية الغربية والموروث العربي عبر الذهنية العربية . وإن عملية تحديث العربي كانت أصلية لفلاهيم عربية قديمة ولفلاهيم غربية حديثة ودمجها في بوتقة جديدة . كان لها مثيلها في تراثاً العربي في العصرين العباسي والأندلسي .^٣ فقد أشار الأستاذ كاظم جواد أن أول محاولة للشعر الحر جاءت من قبل الشاعر المجري نسيب عربضة في ديوانه " أرواح حائرة " الذي أصدره في عام ١٩٢٠ وثانيها شاعر مصري خليل شيوخ في قصيده " الحديقة الميتة " و " القصر البالى " نشرها في مجلة " الرسالة " في ديسمبر ١٩٤٣م .^٤ ويرى بعض الأدباء أن جميل صدقي الزهاوي كان رائداً أولاً لحركة تحرير الشعر العربي الحديث في العراق من بعض قيوده وخاصة القافية ".^٥

ويقول الأستاذ علي أحمد باكثير: وكانت للشاعر بدر شاكر السياب المحاولة الجدية في الشعر الحر في اكتشافه قدرة البحر " الكامل " في قصيده " السوق القديم " نشرت في جريدة " التغير " البغدادية في نوفمبر عام ١٩٤٨م .^٦ حاول عدد من الشعراء قبل نازك الملائكة أمثل عبد الوهاب البياتي ، سعدي يوسف ، كاظم جواد ، رشدي العامل ، دوسي النقدي ، بلند وصف .

^٣ نظرية الشعر د . منيف موسى ص ٥٦

^٤ نازك الملائكة : د . فرجانة صديقي ص ١٣٤

^٥ نظرية الشعر د . منيف موسى ص ٤٣٢

^٦ النزعات الجديدة في الشعر العربي الحديث : قسم اللغة العربية وأدابها ، جامعة عليكيه الإسلامية ص ١٢

العديري ، يوسف الصائغ وخيرا عمالق الشعر العربي الحديث. وإن نازك من أوائل من كتب الشعر العربي بشكله الجديد دون خلاف ونزاع . فقد بدأت حركة الشعر الحر في الشعر العربي المعاصر كحركة ذات شكل خاص ونظام خاص سنة ١٩٤٧ م في العراق وزحفت وسادت العالم العربي كلها ، والأغلب أن أول قصيدة حرة الوزن ، قصيدة نازك الملائكة " الكولييرا " وهي من من الوزن المتدارك (الجنب) سيرا لفرس وعدوه . يوجد مثل (إما خبت وإما بركت) سمعت نازك عن وباء الكولييرا في مصر ويبلغ عدد الموتى ألفا في يوم واحد ، ولم يتمكنوا عن الدفن طبقا للأعراف التقليدية لكثرة العدد فقتلت الخيول لإيصالها إلى المدفن . فكانت نازك الملائكة تخيل وقع أرجل الخيول فقالت :

موت - الموت - الموت
تشكو البشرية تشكو ما يرتكب الموت
سكن الليل

أصح إلى وقع صدى الأنات

في عمق الظلمة ، تحت الصمت على الأموات

فقد طبعت هذه القصيدة في بيروت ووصلت إلى بغداد أول يناير ١٩٤٧ م، وفي ١٥ يناير صدر ديوان بدر شاكر السياب " أزهار ذابلة " وفيه قصيدة حرة الوزن من بحر الرمل " هل كان حبا ". وفي صيف ١٩٤٧ م صدر ديوان نازك الملائكة " شظايا ورماد " فيه قصائد حرة . فأثارت ضجة عنيفة عارمة من المقدمة دعت فيها إلى الشعر الحر ووضعت بعض البحور الخليلية التي تصلح لهذا الشعر وبينت موضع اختلافه عن الشطرين . وقد عرف الشعر الحر كالتالي :

- ١- وهو لا يتقييد بقافية واحدة ولا بحر تام ، ويقيم القصيدة على التفعيلة عوضاً عن الشطر .
- ٢- هو الذي لا يخضع لسلطان القافية والتفعيلات ، فللشاعر أن يستعمل من التفعيلات في البيت الواحد ما يشاء على أن لا تتعذر الأربع في العادة . وله حرية واسعة في ترتيب قوافي القصيدة بحيث تكون متشابكة أو متلاحقة أو منطلقة .



من هذا تبين أن الشعر الحر متوج القوا في متمرد على عدد التفعيلات الثابت في البيت الواحد بينما الشعر المرسل متتحرر من القوا في ، ويلتزم عدداً معيناً من التفعيلات يتوقف على رغبة الشاعر . وعندما بدأت حركة "الشعر الحر" في أواخر الأربعينيات لم تكن إلا ثورة على الأشكال الشعرية التقليدية التي كانت رائجة لدى الشعراء الكلاسيكيين بين الحرين العالمتين . وقد ظلت مضامين تجاربهم الأولى في الشعر الحر رومانطقية بصورة رئيسية . فموضوعها إما الحب أو عالم الأحلام . فقبل الشعراء بهذه التجربة ووصفوها بأنها طريقة مقبولة في التعبير الشعري . وقالت نازك الملائكة : " إنها ليست حركة التجديد بل تعديل في نظام ، من أجل ما يلائم التعبير الجديد . لذلك سمي "الشعر الحر" أي الشعر الذي تحلل من قيود الأوزان العروضية ومن نظام القوا في " .^٨ تدخل فيه بحور عديدة من البحور العربية السبعة عشرة ، وقد رسمت الخطوط الغريضة لمرحلة شعر التفعيلة بالآتي :

- ١- الفلسفة الجمالية : فالشاعر المعاصر صنع لنفسه جمالياته الخاصة وابتكرها ابتكاراً . وفي الماضي كانت مفروضة عليها فرضياً .
- ٢- إن الشاعر تكاملت ثقافته في هذا العصر من جميع جوانبها ، سواء ما كان دينياً أو فلسفياً أو علمياً . لقد استوعب الثقافة الإنسانية وتبلورها وحدد موقفه منها ثم انعكس ذلك كله في شعره .
- ٣- إن الشاعر في هذه الفترة عاش قضايا أمته وانفعل بها ولم يقف منها موقف المترجح المصور .
- ٤- إنه الشاعر التأثر الذي شارك في الخبرات الجماعية لمجتمعه من جميع النواحي وتأثر بها .
- ٥- والشاعر لم يتقييد بقالب الشعر التقليدي الذي ينبغي أن يحشر فيه المضمون الفكري ، وإنما ترك المضمون يحقق لنفسه بنفسه وبشكل عفوي الإطار المناسب .

ولا يرغب شاعر الشعر الحر بأن يلتزم بالدوا في بالضرورة ، ولكن إذا أنت القافية طبيعياً وتلقائيًا فلا يمنعها ولا يتجنّبها . وقد أشار إليه بدر شاكر السياب : إن ترنيمة موسيقية تنشأ بنفسها وتجعل الشعر جميلاً . كما نجد في قصيدة "نهاية السلم" لنازك الملائكة . وهي تقول :

^٨ قضايا الشعر المعاصر : نازك الملائكة ص ١٨٩

عد بعد لقاء
 يمنحنا أجحنة تجتاز الليل بها
 فهناك فضاء
 خلف الفيابات الملتقات هناك بحور
 لا حد لها ترغبي وتمور
 أمواج من زيد الأحلام تقبلها
 أيد من نور
 لا شئ سوى الصمت الممدود
 فوق الأحزان
 لا شيء سوى رجع نعسان
 يهمس في سمعي ليس يعود
 لا ، ليس يعود
 ويقول بدر شاكر السياب في قصidته " النهر والوت "
 بوب ...
 بوب ...
 بوب ...
 بولورها يذوب في انين
 أجراس برج ضاع في قرارة البحر
 الماء في الجرار ، والغروب في الشجر
 وتتضخج الجرار أجراساً من المطر
 فيידلهم في دمي حنين
 إليك يا بوب
 دوافع الشعر الحر :

شهدت الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية تطوراً ملماً في جميع أصناف الأدب العربي بما جاء يمثل في اتساع آفاقه بحيث أصبح يشمل الحياة بمختلف مجالاتها . فأخذ الشعراء يطالعون الأدب العربي وتأثروا به تأثراً عميقاً . سافر بعضهم إلى البلدان الغربية وقضوا فترة من حياتهم واستقادوا من أداب الغرب فيها ورحباً بجميع الثقافات الغربية برحابة الصدر واكتشفوا مدرسة جديدة في الفكر والأدب . أما العوامل التي دفعت الشعراء الجدد إلى اعتماد طريقة جديدة

٩ إحسان عباس : بدر شاكر السياب : دراسة في حياته وشعره ، ص ١٤٢ - ١٣٦ .
 بيروت عام ١٩٦٩ م .

في نظم الشعر فهي كما يرى تلخص في أثر الثقافات الغربية أو النظريات الحديثة في الأدب وقوته السائدة عند الغربيين على الشعراء العرب المعاصرين. وكانت هذه نتيجة طبيعية لاطلاعهم على تلك النظريات. ويعرف زعماء الشعر الحر بأنفسهم بأنهم قد تأثروا بشعراء الغرب حتى في طريقة كتابة قصائدهم. أراد شعراء الغرب وعلى رأسهم "وردزورت" أن يبدوا طريقة جديدة للخروج على المذهب الكلاسيكي السائد في ذلك العصر، وقدموا أمام الناس خصائص الشعر الجديد. ودعوا إلى استخدام اللغة اليومية التي يتحدث بها الناس، لأنها أصدق تعبيراً وأقرب إلى مشاعر الناس وأحساسهم الذين يخاطبهم الشاعر وحثوا على ترك بعض المصطلحات الكلاسيكية التي كانت غير ملائمة وقدرت قوة إيحائها. كما قال نازك الملائكة^{١٠} في الشعر كما في الحياة يصح تطبيق عبارة برنادشو "اللاقاعدة هي القاعدة الذهبية" لأن الشعر وليد أحداث الحياة، وليس للحياة قاعدة معينة تتبعها في ترتيب أحداثها، ولا نماذج معينة للألوان التي تتلون بها أشياؤها وأحساسها. ولم يتوجه الشعراء إلى الطريقة الحديثة هرباً من العمود الشعري القديم وعجزاً منهم عن التعبير به عن تجاربهم، وإنما لأن الشعر الحديث ينسجم مع ذوق العصر وروحه".

الشعر الحربي مؤيد وعارضه :

يعتقد مؤيدو الشعر الحر أن في بعض الأحيان تقع أحداث في الحياة يصعب التعبير عنها بالالتزام الأوزان والقوافي، وهذا ما يخلق في قلوبهم الإحساس بالضيق والملل. وهم يرون أنهم إذا حاولوا التعبير بما يختار في نفوسهم بدون التزام البحور والأوزان فيمكن لهم أن يصفوا مشاعرهم وأحساسهم بطريقة أكثر سهولة ووضوحاً. وهكذا ينص رأي نازك الملائكة على الحرية الفنية والأدبية والاجتماعية في الشعر، بل في الفن إذا جاز التعبير. ولا يمكن أن نحدد للشاعر خطه ومسار شاعريته. فالحياة غنية والكون رحب فسيح والشاعر حر طليق في اختيار موضوعاته. وله الحرية في التعبير بما يريد ويعرب عن خلجان قلبه. ومن المعروف أن تجربة الشعر الحر قوبلت بمعارضة شديدة من مؤيدي الشعر الكلاسيكي فوجها نقداً لاذعاً إلى هذه التجربة الجديدة ورأوا أنها بدعة تؤدي الجيل الناشئ إلى الضلال وتبني حركة خارجة عن الأوزان العربية التقليدية. فقال بعضهم: "إن الشباب مولع بالغраб والشذوذ". وقال آخرون: إن الجيل الجديد كسول يضيق بالجهد ولا

١٠ مقدمة ديوان : شظايا ورماد ، نازك الملائكة ص ٧

يصبر على متابع الشطرين وأهوال القافية الموحدة فتتجأ إلى السهولة . وقالت جماعة أخرى : إن الحركة بمجملها منقوله عن الشعر الأوروبي ولا علاقة لها بالشعر العربي . ووصف الباحثون والنقاد الشعر الحر بأنه ولد غير شرعي لا علاقة له بالشعر العربي ولا توجد فيه الروح الشرقية . دافعت نازك الملائكة الشعر الحر وأوضحت أنه لا يصلح للمطولات لأن موسيقاه أقل من موسيقى الشطرين والمطولات تحتاج إلى الفنائية التي تساعد القارئ على تقبيل قصيدة طويلة فيها فلسفة ومشاعر معقدة متضاربة . إن الأوزان الحرة رتبة ولذلك استعملت للقصائد القصيرة فحسب ، أما المطولات فلا بد من شعر الشطرين الذي يتحمل الإطالة ويسوها بالموسيقى والصور .^{١١}

وبعد الرواد الأوائل لهذه التجربة الجديدة أنها تطورت على أيدي توفيق الصائغ وجبرا إبراهيم جبرا ومحمد الماعوط وأدونيس وصلاح عبد الصبور وعبد الوهاب البياتي وغيرهم . ويدرك كاظم جواد أن صاحب أول محاولة بدائية في الشعر الحر هو الشاعر المهجري نسيب عريضة الذي أصدر ديوانه " أرواح حائرة " في سنة ١٩٢٠ م .^{١٢} أما صاحب ثاني محاولة جرئية في الشعر الحر فهو الشاعر المصري خليل شيبوب الذي نشر قصيده " الحديثة الميتة " و " القصر البالى " في مجلة الرسالة في سنة ١٩٤٣ م . ويمكن أن نستخلص من الآراء المتضاربة حول الريادة في تجربة الشعر الحر أن بدر شاكر السياب هو أول من بادر في نظم الشعر الحر في العراق بينما نازك الملائكة سبقته في نشر قصيدها " الكولييرا " من هذا النوع الجديد . أما الشاعر المصري صلاح عبد الصبور فهو أيضاً من أهم الشعراء الذين ساهموا في تطوير وترويج الشعر الحر من خلال دواوينه العديدة . وهي " الناس في بلادي " أصدره في عام ١٩٥٧ و " أقول لكم " في سنة ١٩٦١ و " أحلام الفارس القديم " عام ١٩٦٤ و " تأملات في زمن جريح " عام ١٩٧٠ و " شجر الليل " عام ١٩٧٧ و " الأبحار في الذكرة " عام ١٩٧٩ م . ومن قصائده التي كتبها في الشعر الحر وتحظى بالقبول قصيدة " أول جندي رفع العلم في سيناء " وعالج فيه موضوع حرب عام ١٩٧٣ م التي حققت فيها القوات المصرية الانتصار على الجيش الإسرائيلي بإعجاب وتقدير كبير ، وفيما يلي مقطوعة منها :

تمليناك حين أهل فوق الشاشة البيضاء
وجهك يلشم العلماء

١١ نفس المصدر ص ٨

١٢ نازك الملائكة : د . فرحانة صديقي ص ١٤٨

وترفعه يداك
لكي يحلق في مدار الشمس
حر الوجه مقتحما
ولكن كان هذا الوجه يزهر ثم يستخففي
ولم ألح سوى بسمتك الزهراء والعينين
ولم تعلن لها الشاشة نعتا لك أو اسمها
ولكن كيف كان اسم هنالك يحتويك
وأنت في لحظتك العظمى
تحولت إلى معنى كمعنى الحب ، معنى الخير
معنى النور ، معنى قدره الأسمى

ومن القصائد الهمة الأخرى لهذا الديوان "إلى أول مقاتل قبل تراب سيناء" و "الموت بينهما" كما أن عبد الوهاب البياتي وهو أكثر الأصوات الشعرية تميزا هو المنافس الآخر لريادة الشعر الحر . فنشر ديوانه الأول "ملائكة وشياطين" عام ١٩٥٠م وهو في ٢٣ عاما من عمره . وهو بلون تقليدي لا يضيف جديا إلى حركة الشعر الحر في العراق . ولكن ديوانه من أمثل "أباريق مهمسة" و "عشرون قصيدة من برلين" و "سفر الفقر والثورة" و "المجد للأطفال والزيتون" و "الذى يأتي ولا يأتي" و "أشعار في المنفى" و "الموت في الحياة" جعلت اسمه تكملة لا بد منها لمؤسس حركة الشعر الحر في العراق . ملخص البحث : إن حركة الشعر الحر ظهرت نتيجة للتأثير المباشر بالأداب الغربية . أحدثت هذه الحركة في الأوساط الأدبية ضجة كبيرة وجاءت بتغيير كبير واضح في الشعر العربي الحديث . إن الشعر الحر ما زال ينمو ويتطور في وجه الآراء المؤيدة والمعارضة له . والحقيقة أن أدبها أو لغة ليست شيئاً جديداً ولكنها يزخران بقدرة طبيعية للنمو والتتطور والتغيير والتأثير والتأثر . ومن هذا المنظور لا نرى شيئاً غريباً في تجربة الشعر الحر في الأدب العربي . وبالجملة فقد كان هناك عدد لا يأس به من الشعراء الذين اشتراكوا في تجربة الشعر الحر . أما خصائص الشاعر الحر فلا تقبل أهمية عن غيرها من خصائص المدارس الشعرية ، بل ربما كان هذا اللون من الشعر أكثر تحقيقاً لبعض العناصر التي لم تتوافق في الأنماط الشعرية الأخرى كالوحدة العضوية . فإن شعراء الشعر الحر قد نجحوا في تحقيق الوحدة العضوية وفي الموسيقى الداخلية والمناسبة بين الألفاظ والمعاني لأنهم يعتقدون أن الشعر لا يحدد ولا يقياس ولا يوزن إذ أنه تعبر عن الحياة ، والحياة لا حدود لها ولا مقاييس .



مسيّر المؤسسات التنموية في الأمة

د. سعيد بن مخاشن *

إن المؤسسات العلمية والمدارس التعليمية خطت خطوات جليلة في دفع عجلة النهضة إلى الأمام ، لأنها على مدى العصور مفتاح التقدم والحضارة للأمم الراقية والمتقدمة ، فما من أمّة تسلّمت عليه افتتحت لها أبواب وسعة وتوسعت لها آفاق فسيحة واحتضنت النهوض التربوي والانبعاث الحضاري وبلغت به إلى مالا تبلغ إليها بل لا تدرك شأوها بقية من أخواتها ، حتى تختزن السيطرة والغليبة في كافة المجالات العلمية ، والأدبية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية . فالمدارس والمعاهد رحب خصب تتنافس فيه العقول وتجادل فيه الآلباب وتأتي بابتكارات عجيبة واختراعات مدهشة ، فهي الملجأ الذي تستقر فيه النفوس وتهداً إليه الأفئدة ، فما من طالب أو مطلوب ، باحث أو مبحوث ، عالم أو معلوم إلا وهي ملاذه وملجأه .

ويقول الأستاذ جبران مسعود معبراً عن أهمية المؤسسات العلمية والمدارس التعليمية : "ليس كالمدرسة للعقل رحب تجادل فيه ، وفيها لنابه بـث متجدد ، وفيها للخامل حافز وتحدى ، وفيها خصوصاً احتكاك الأضداد في الشخصيات الفكرية وما يولده من إشعاع . ولذا فإن المدارس صغيرة كانت أو كبيرة ، غرفة في دار أو صرحاً منيعاً ، حمى معابد او حمى بيوتات ، أولى دعائم النهضة وأبعدها أثراً"

نظراً إلى أهمية المدارس ودورها في الحياة البشرية لم تزل الحركات التعليمية بشكل عام والإرساليات التبشيرية بشكل خاص تقدم جهودها المكثفة في إنشاء المدارس العلمية وتشييد المعاهد الدينية منذ قديم ، وذلك لتدريس العلوم الدينية وتهيئة الطلبة لتبلیغ عقائدها في كثير من القرى وعديد من البلدان .

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية ، جامعة مولانا آزاد الأردية الوطنية ، البريد الإلكتروني: Sayeed_makhashin@yahoo.com

جبران مسعود: لبنان والنهضة العربية الحديثة ، ص ٣٦، بيت الحكم بيروت ١٩٦٧،

ومن يتبع تاريخ المؤسسات يعرف أن أولى المدارس التعليمية التي أنشئت في الديار اللبنانية تعود إلى مدرسة روما المارونية أو مدرسة الموارنة في رومية التي أنشأها البابا غريغوريوس الثالث عشر عام ١٥٨٤م، لتدريس العلوم الدينية وتهيئة الطلبة الموارنة لتولي المناصب الأكاديمية عند عودتهم إلى لبنان^١. بالإضافة على ذلك، ساهم أبناؤه بكل جد ونشاط في مسيرتها العلمية، فأنشأ أحد خريجي مدرسة روما بطرس مبارك سنة ١٧٢٨م مدرسة عينطورة في كسروان، أغلقت عام ١٧٧٣م بقرار من الكرسي الرسولي، القاضي بحل منظمة الآباء اليسوعيين التابعة لها، وأعيد فتحها في سنة ١٨٢٤م ولا تزال حتى اليوم. ومن ثم خطت الإرساليات خطوات جليلة عند ما شيدت مدارسها في أكثر من مدينة وقرية، منها مدرسة في زغرتا سنة ١٧٣٥م لصاحبيها جرجس بن يامين، لكنها لم تر النور طويلاً إذ سرعان ما أغلقت ولم تفتح بعد^٢. وهكذا أنشئت المدارس في الأديرة وقد عرفت بـ "أنطوش" كأنطوش جبيل ١٧٦٢م، وأنطوش زحلة ١٧٦٩م، وأنطوش دير القمر ١٧٨٢م، وكان على رأس مدارس هذه المرحلة، مدرسة عين ورقة التي برزت في حقل التعليم والعناية بالجيل الجديد، أنشئت في القرن الثامن عشر في دير مار أنطونيوس وجعلها البطريرك يوسف سلطان عام ١٧٨٩م على مثال مدرسة روما، تدرس العربية والسريانية واللاتينية والإيطالية واللاهوت، وسائل العلوم العصرية المطلوبة في المدارس الأوروبية الكبرى، وقد عد كثير من المؤلفين والأدباء، أم المدارس الوطنية دون خلاف^٣.

النهضة الأدبية في عصر محمد علي :

لا يختلف فيه اثنان أن العالم العربي قد شهد تراجعاً كبيراً وانخفاضاً حثيثاً في المستوى العلمي بعد العصر العباسي وظل ينخفض يوماً فيوماً حتى وصل إلى أدنى مستوى، وكانت الدراسة محصورة في بداية العصر الحديث على ما تقدمه الكتاتيب وحلق الدرس على الطراز القديم والطابع التقليدي، أما الكتاتيب فقد كانت تدور حول ذلك القرآن الكريم وعلومه جيلاً بعد

^١ د. منذر معاليقي : معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية: ص ١٥ دار أقرأ ، بيروت

^٢ د. منذر معاليقي : معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية ، دار أقرأ ،
١٠٦ بيروت، ص

^٣ فؤاد افرايم البستاني، تاريخ التعليم في لبنان: ص ١٧٠؛ نقلًا عن معالم: ص ١٠٦

جيل وتدرس قراءة القرآن وحفظه وما إلى ذلك من الكتابة والخط والإملاء والحساب وغير ذلك . على حين كانت حلق الدرس في المساجد والبيوت ، ويقصد إليها طلبة العلم من أرجاء نائية ويتسلحون بعلوم متداولة عند الشيخوخ الكبار آنذاك . ومن أهم الحلق التي كان الطلبة ينهلون منها ويعملون ، جامع الزيتونة بتونس ، وجامع بنى أمية بدمشق ، وجامع القرويين بفاس (المغرب) ، والحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة ، والمسجد الأقصى ، وجامع بغداد ، والجامع الأحمدي بطنطا ، فكانت هذه المعاهد والحلق كانت مصيغة بصيغة تقليدية ولم تواكب مسيرتها بمستجدات العصر الحديث .

أما في بلاد مصر فكان العلم والتعليم - قبل اعتلاء محمد علي على عرش مصر - محصورين في الأزهر وبعض الكتاتيب في المدن والأرياف ، والأزهر في الأصل جامع للعبادة بناء القائد جوهر فاتح مصر سنة ٩٧١م ، ثم تحول بعد ذلك إلى جامعة لتدريس العلوم الدينية على مذهب "الشيعية" ، وبعض العلوم اللغوية والعقلية ، وبعد أن تغلب صلاح الدين على الفاطميين جعله مدرسة سنية يؤمها الطلاب من كل الأقطار الإسلامية ، وأثر الانحطاط الشفافي في الأزهر فاقتصر على العلوم الدينية وبعض أصول الحساب القديمة البدائية .

وما اعتلى محمد علي على عرش مصر اتجهت همته أول ما اتجهت لعظام الأمور ، إلى إنشاء جيش مدرب منظم ، ولا بد لهذا الجيش من أطباء يعالجون المرضى ، ويأسون جراحات الجرحى ، ويدافعون الأوباء إذا هبت ريحها . ولم يكن آنذاك للطب الحديث ولا لفنونه أثر في هذه البلاد ، ما خلا عددًا قليلاً من أطباء الإفرنج كانوا يقومون بمعالجة النزلاء والغربيين . أما المصريون فكان خاصتهم يعتمدون في هذا على المؤثر من نسخ الأدوية في الكتب القديمة ، وعلى ما تمخضت عنه التجارب ، ومنها الكي والحجامة ونحو ذلك . وأما الدهماء فكانوا في عامة شؤونهم يعودون بالمتطبعين من الدجالين والمشعوذين من مدعى السحر والاتصال بعالم الأورح ، أو يقنعون من طلب الاستشفاء بزيارة أضرحة الصالحين .

إن هذه أمور لغيرت دوراً حيوياً في تشيد المؤسسات في بلاد مصر ودفعت محمد علي على إنشائتها في مختلف مناطقها لتحاذى مسيرته مسيرة البلاد الغربية . وقام محمد علي بتشييد أول "مدرسة إعدادية حربية" في أسوان في الديار المصرية عام ١٨١٥م لاعداد وتجهيز جيش مصرى متدرج على أحد

الأنظمة والآلات العسكرية . وأنشأ في عام ١٨١٦ مدرسة الهندسة ، وهي الأولى من نوعها في مصر ، ومدرسة الزراعة عام ١٨٣٦ م ، وأسس مدرسة المعادن القاهرة عام ١٨٣٤ م ، ومدرسة الفنون والصنائع عام ١٨٣٩ م ^١ كما ركز اهتمامه بإنشاء مدرسة الطب في أبي زعبل ، لتخرج الأطباء من أبناء البلاد ، وقد جلبت له حكومته ، الأطباء من مختلف البلاد الأوروبيّة وخاصة من فرنسا لتدريس علم التشريح والجراحة والصيدلة . يقول أحمد الاسكندرى مشيراً إلى هذا : " من هنا رأى محمد علي أن ينشئ مدرسة طبية تقوم بتعليم الطب الحديث على أحد الوسائل التي انتهت إليها بلاد الغرب في تلك الأيام . فأنشأ في سنة ١٢٤٢ هـ ١٨٢٦ م في جهة أبي زعبل هذه المدرسة وأقام بإياها مستشفى كبيراً لمعالجة المرضى من جهة ، ولتمرين التلاميذ في التطبيق من جهة أخرى . وجاء لها بأساتذة من الغرب ، وجعل رياستها إلى الدكتور " كلود بك الفرنسي " ، وكان محمد علي قد استقدمه في السنة السابقة طبيباً للجيش . وكان الطلاب في هذه المدرسة مزواً من المصريين وغيرهم ، وكثير من أولئك اختبروا من متقدمي الطلاب في الأزهر ، ثم نقلت هذه المدرسة إلى قصر ابن العيني في سنة ١٨٣٨ م ^٢ .

نظراً لأهمية الترجمة ودورها في تشييد اليقظة النهضوية أنشأ محمد علي بايعاز من الطهطاوي وإشرافه ، " مدرسة الإدارة والألسن " عام ١٨٣٦ م ، التي قدر لطلابها أن يعرّبوا أكثر من ألف كتاب ورسالة ، في مختلف العلوم والفنون ، وذلك بفضل مراقبة محمد علي ، الصارمة وتشجيعه للطلاب بالكافات السخية والهدايا المتوعنة . ويقال إنه عقب عودة طلاب البعثة الأولى من فرنسا ، استقبلهم محمد علي بديوانه في القلعة ، وسلم كلّا منهم كتاباً بالفرنسية ، في المادة التي اختص بها ، وطلب إليهم ترجمتها إلى اللغة العربية آمراً ببقائهم في القلعة لا يأذن لهم بمغادرة حيث يتمموا ما عهد به إليهم ^٣ .

ديوان المدارس :

كانت المدارس في مبدأ أمرها تابعة للإدارة العسكرية - لما علمت أن

^١ معالم: ص ١٢٠

^٢ المفصل في تاريخ الأدب العربي أحمد الاسكندرى، أحمد أمين وغيرهما: ص ٥١٨ ، دار إحياء العلوم بيروت ١٩٩٤ م

^٣ د. منذر معايلقى: معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية ، دار أقرأ ، بيروت ، ص ١١٨

التعليم إنما بدأ في مصر للأغراض العسكرية - فلما اتسعت رقعته وتتوعدت قtronه ، وتجزرت أكثر مدارسه للأغراض العلمية ، أنشأ له إدارة ملوكية خاصة في سنة ١٨٣٩ م ، سميت ديوان المدارس واتخذ للتحدد على شأن هذا الديوان طائفة من العلماء المصريين والأجانب ، وجعلت رياسته إلى مصطفى مختاريك من أعضاء البعثة العلمية الأولى^١ .

لكن بلاد مصر سرعان ما شهدت من تراجع كبير في المجال التعليمي وذلك " لما صارت الولاية إلى حفيده عباس الأول سرعان ما أغلقت المدارس العليا خلال المدرسة الحربية ، وانقطعت البعثة العلمية ، وعفدت أكثر المصانع والمعامل ، ومثلت حركة الإصلاح ، وأبطلت أكثر مشروعات التعمير والتثمير" .

ثم صار الأمر إلى سعيد بن محمد علي ، فكان شأنه ، في الجملة بشأن سلفه عباس ، لو لا أنه أقدم على أمرين كان لهما شديد الخطر ، وبعيد الأثر، أحمر أولهما أكبر النفع والخير ، وجاء ثانيهما بأبلغ الشر والضر . وهو مد سكة الحديد بين مصر والإسكندرية . والإذن بشق قناة السويس^٢ .

إلا أن سعيداً كان شديد الميلان إلى الأجانب ، وأتاحت حكومته للأجانب فرصة تشييد المؤسسات والمدارس الدينية والعصرية ، بل وهبت قطعات الأرض لإنشاء المدارس ، كما يتضح أكثر سطوعاً في قول أمين سامي: " ومن أقوى الأدلة وأغرتها على ميل سعيد للأجانب أنه بينما كان متراخياً في النهوض بالتعليم إلى الحد الذي رأيته كان لا يضن على البعثات الأجنبية الدينية بمساعدته كي تفتح مدارسها ، لهذا منح إعانات سنوية لراهبات اليون باستور (الراعي الصالح) وكانت لهن مدرستان بالقاهرة والإسكندرية ، ولراهبات الصدقة بالإسكندرية فأوهب للبعثة الأمريكية بناء بالقاهرة لتخذه مدرسة لها ، وأعطى أول مدرسة إيطالية إنسانتها الحكومة الإيطالية بالإسكندرية إعاناً قدرها ٢٤٠٠ جنية ، ووهب لها قطعة أرض في أجود جهات الإسكندرية لتشي المدرسة ، وهكذا . كانت عناته

^١ الفصل في تاريخ الأدب العربي أحمد الاسكندرى، أحمد أمين وغيرهما: ص ٥٣٧
دار إحياء العلوم بيروت ١٩٩٤ م

^٢ الفصل في تاريخ الأدب العربي أحمد الاسكندرى، أحمد أمين وغيرهما: ص ٥٤٦
دار إحياء العلوم بيروت ١٩٩٤ م

بنشر التعليم الأجنبي أكبر من عناته بنشر التعليم الأهلي ، وأنشئت جريدة التربوية الإيطالية بالاسكندرية وهي جريدة سياسية تجارية مالية .^١
النهضة الأدبية في عهد إسماعيل :

لا مشاحة في هذا الأمر أن محمد علي أثراً بينما في تاريخ نهضة مصر الحديثة ، لكن الذي لا ريب فيه ، أن الدور الحضاري الذي عرفته مصر يعود إلى عهد الخديوي إسماعيل الذي أعطى التعليم والنهاية الأدبية نصباً عظيماً من جهوده . فقد أعاد معظم المدارس التي أنشأها محمد علي وأغلقها عباس وسعيد ، وبعث فيها روح الحياة والنشاط ، وبخاصة "مدرسة الإدارة والألسن" التي أعاد إنشاءها عام ١٨٦٨ م وسميت "مدرسة الحقوق" منذ عام ١٨٨٦ م . وكان أول ناظر لها أحد علماء فرنسا المدعو "فيدال" .

ويعتبر عبد الرحمن الراafعـي أن النهاية الأدبية والسياسية في البلاد المصرية مدينة لهذه المدرسة التي خرجت معظم رجال القانون الذين تققهوا في نهضة القضاء وتشريعه .^٢

ويعد عصر الخديوي إسماعيل من أبهى العصور التي أينفت فيه النهاية الأدبية وأشرت عطاياها ، لكن الأثر العظيم والعمل المفيد الذي عرف به إسماعيل ، يرجع إلى إنشائه "مدرسة دار العلوم" عام ١٨٧١ م بـإيعاز من على مبارك وتوجيهه ، لتخریج أساتذة أكفاء في اللغة العربية يضطلعون بتدریس طرق التعليم الحديث في المدارس الابتدائية والثانوية .

إن المكانة الرفيعة التي تبوأها "الدار" ، تبدو أكثر سطوعاً في لفحة محمد عبده حين قال بمناسبة الامتحان النهائي للدار في تقريره المرسل إلى المسؤولين عام ١٩٠٧ م "انتهز هذه الفرصة للتصریح بمكانة هذه المدرسة في نفسی ، وما اعتقد من منزلتها من اللغة العربية ، الناس يذکرون اللغة العربية ، وإهمال أهلها لتقویمها ، ويوجهون اللوم إلى الحكومة ، إن باحثاً مدفتناً أن أراد أن يعرف أین تموت اللغة وأین تحيا لوجدتها تموت في كل مكان وتحيا في هذا المكان" .^٣

هذه النهاية التي دعا إليها إسماعيل باشا ، أیقن أنها لا تقوم على عنصر

^١ أمین سامي ، التعليم في مصر: ص ١٦

^٢ عبد الرحمن الراافعـي ، عصر إسماعيل: ج ١ ، ص ٢٠٢ دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٢ م

^٣ عبد الرحمن الراافعـي ، عصر إسماعيل: ج ١ ، ص ٢٣٥ دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٢ م

الرجال فقط ، ولا بد من إكمال هذا النقص ، واعطاء الفنون النسائية دوره في المسؤولية والحياة ، فعمد إلى إنشاء "مدرسة السيوافية للبنات" عام ١٨٧٣ التي كان التعليم فيها مجاناً ، وجميع النفقات من مأكل وملبس على حساب الحكومة^١ .

و حول مسؤولية المدرسة على اعناق الأميرة جشمة آفت هانم آفendi الزوجة الثانية للخديوي إسماعيل ، فقدمت جهوداً باهظة ودفعت مبلغاً كبيراً لشراء القصر القديم للمدرسة^٢ .

كما أنشأت الزوجة الثانية الأميرة "أورطنجية هانم آفendi" مدرسة أخرى في سنة ١٨٧٣ م. وأنشأ ديوان الأوقاف مدرسة أخرى بالقريبة لإعداد التلميدات للخدمة المنزلية ، وهي أول مدرسة من نوعها في مصر الحديثة . وأنشأت سيدة شامية تدعى "كريستين قرداحي" مدرسة أهلية في عام ١٨٧٧ م ، والغرض من إنشاء هذه المدرسة تعليم اللغات العربية والفرنسية والإيطالية والإنجليزية ، وعلم البيانو (الموسيقي) وكذلك الأشغال اليدوية الدقيقة كالخياطة والتفصيل وتطريز القصب والحرير بجميع أنواعه وشغل الصدف والرخام و القبعات^٣ .

إن الحركات الدينية الوطنية والإرساليات التبشيرية الأجنبية جنبًا إلى جنب نشطت في البلاد العربية لتشييد المدارس لتحقيق أغراضها الدينية التي لعبت وبعضها لم يزل يلعب دوراً حيوياً في الحياة الثقافية والفكرية ، وتأتي على طليعتها "جامعة القديس يوسف" التي تأسست عام ١٨٧٥ م في بيروت من قبل المبشرين اليسوعيين ، تخرج منهاآلاف الطلاب في شتى الاختصاصات والعلوم ، وتقرب من ذروة أعمال الإرساليات الكاثوليكية التربوية ، وقد ثبتها بعد سنتين من إنشائها البابا آنذاك كجامعة ، وفي عام ١٨٨٣ م اعترفت بها وزارة التربية الفرنسية ومنحتها معاونة مالية سنوية ، ففتحت كلية الطب وأخرى للصيدلية . وقد استكملت كلياتها في ١٩١٣ م حين أضيفت إليها

^١ إلياس الأيوبي، تاريخ مصر في عصر إسماعيل، ج ١ ص ٢٠٤؛ نقلًا عن معالم: ص ١٢٣
^٢ درية شفيق، إبراهيم عبده، بطولة النهضة النسائية في مصر من عهد محمد علي إلى الفاروق، ص ٤٦، ٤٧، ١٩٤٥، القاهرة
^٣ جورج يانج، عهد الملوك إلى نهاية حكم إسماعيل، تعریب علی احمد شکری: ص ١٣٤، القاهرة ١٩٣٤

كلية للهندسة والحقوق تحت رعاية جامعة ليون .

أما البروتستانت الذين كانوا على صراع مع الطوائف الأخرى ، وتنافس على النفوذ والغلبة ، وتسابق في كسب المريدين المسيحيين فقد أنشأوا عدداً من المدارس في الجبل وبيروت ، وفي طليعتها "مدرسة عبّية" التي أسستها الإرسالية الأمريكية عام ١٨٤٧م بسعى الدكتور مارينيلوس فانديك الذي أنفق العربية على يد البازجي واجتمع بطرس البستاني وحفظ كثيراً من الأشعار العربية^١ .

أما المدارس الإسلامية فقد سارت بمحاذاة المسيحية في دفع عجلة النهضة إلى الأمام ، وقد عرفت بيروت وطرابلس طائفة من المدارس الإسلامية ، وفي مقدمتها "الكلية الوطنية الإسلامية" في طرابلس لعام ١٨٧٩م^٢ .

وكان من أح恨 اللبنانيين للعلم ، وأبعدهم أثراً في الميدان الوطني المعلم بطرس البستاني الذي استطاع أن يجمع ثقافة عربية وأوروبية ضخمة، ويوسس سنة ١٨٦٢م "المدرسة الوطنية" التي تعد بحق من أحدث المدارس العصرية^٣ .

كما شهدت البلاد العربية، إضافة على ذلك ، مدرسة "الثلاثة الأقمار" في سوق الغرب التي نقلت إلى بيروت عام ١٨٦٦م ، ومدرسة يوسف الدبس ، و"مدرسة الحكمة" أشهر مدارس الطائفة المارونية.

وإذا أمعنا النظر في تاريخ التعليم في بلاد مصر يجدون هذا الأمر أكثر سطوعاً وهو أن الأجانب لم يقتصر اهتمامهم تركيزاً على مدارس الذكور بل التفتوا نحو رعاية النساء خاصة ، - وإن حوادث ١٨٦٠م المؤسفة افقدت النساء أزواجهن وأبايهن - فأسسوا المدرسة الإنكليزية التي أنشأتها "مسنزيوني طمين" عام ١٨٦٠م ، والتي عرفت باسم مسز "موط" ، ومدرسة "الكلية الانجليزية الأمريكية للبنات" عام ١٨٦١م . وللطائفة الكاثوليكية السبق في تشييد مدارس للبنات والتي أقامتها سنة ١٨٤٥م تحت اسم "راهبات يوسف" و"مدرسة راهبات المحبة" عام ١٨٧٤م^٤ .

^١ د. منذر معاليقي : معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية ، دار اقرأ ، بيروت ، ص: ١٠٩

^٢ المصدر السابق : ١١٢

^٣ المصدر السابق: ص ١١١

^٤ جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية : ج ٢ ص ٣٩٧ ، مكتبة الحياة ١٩٧٨م

الجامعة المصرية :

في سنة ١٩٠٦م هزت النعرة القومية طائفنة من كبار المصريين ، فتناولوا فيما بينهم ، ثم أهابوا ببناء مصر أن يعاونوهم على إنشاء جامعة أهلية توالي مطامع البلاد في التعليم العالي ، وقد تم لهم ما أرادوا وتباري المحسنون في الاكتتاب لهذا الغرض .

ومن أجل ما رفدت به الجامعة ما وهبته سمو الأميرة الباردة فاطمة هانم إسماعيل من نقد وحلى وحبوس ، وأجرت عليها نظارة (وزارة) الأوقاف بضعة آلاف جنية كل عام ، وأسندت رئاسة الشرف فيها إلى حضرة صاحب السمو العالم الجليل الأمير أحمد فؤاد (حضرة صاحب الجلالة الملك) .

وقد فتحت هذه الجامعة فعلاً في سنة ١٩٠٨م . ودعت بكمار العلماء من المصريين والأجانب للتدريس فيها ، وبعد قليل أجرت عليها الحكومة كذلك إعانة سنوية ، وفي سنة ١٩٢٥م تولت وزارة المعارف هذه الجامعة مخطلعة بما يزيد من مصروفها على مواردها ^١ .

إضافة على ذلك يذكر هنا فاخوري عديداً من الجامعات أنشأت في ذلك العصر ، كما يقول : وأنشئت الجامعات الكبرى في بيروت "الجامعة الأمريكية" سنة ١٨٦٦م ، و "جامعة القديس يوسف" سنة ١٨٧٤م، وفي مصر "الجامعة المصرية" سنة ١٩٠٦م ، وفي دمشق "جامعة سوريا" في عهد فيصل بعد الحرب الكونية الأولى ^٢ .

أما المدارس العالمية التي أنشأها إسماعيل باشا فكانت على النحو التالي : (جورج يانج ، عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل ، تعرّيف علي أحمد شكري : ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٩٣٤؛ أمين سامي : ص ٢)

- مدرسة الفنون والصناعة . افتتحت سنة ١٨٦٧م ، وكان مقرها في حي المصانع ، والتعليم فيها عملي محض .

- مدرسة الإدارة والأسنن ، لتخريج المحامين والترجميين - وقد حلّت محلها مدرسة الحقوق والإدارة سنة ١٨٧٥م .

^١ المفصل في تاريخ الأدب العربي أحمد الاسكندرى، أحمد أمين وغيرهما: ص ٥٥١ ، دار إحياء العلوم بيروت ١٩٩٤م
^٢ هنا الفاخوري: ص ١٣

- مدرسة المحاسبة والمساحة . أنشئت سنة ١٨٦٨ م لتخرج المحاسبين والمساحين ورؤساء الأعمال .
- مدرسة الایجنبولوجي (اللغات القديمة) . أنشئت سنة ١٨٦٩ م لتعليم الهروغليفية واللغة الأمهرية الحبشية .
- دار العلوم . أنشئت سنة ١٨٧٢ م لإعداد أساتذة اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية .
- مدرسة ملاحة البحار .
- مدرسة الرسم .

والمدارس الحرية التي أنشأها إسماعيل أو أعاد تنظيمها على النحو التالي :

- مدرسة هيئة أركان الحرب .
- مدرسة المشاة .
- مدرسة المدفعية .
- مدرسة البحرية الحرية بالاسكندرية .
- مدرسة الرياضيات .
- مدرسة الطب البيطري .
- مدرسة الزراعة . (د. صلاح أحمد هريدي ، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر: ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٠)

أما المدارس الأوروبية في عهد إسماعيل فقد فتح ٤٣ مدرسة أوروبية للبنين والبنات (المصدر السابق، ص ٢٨١)

لذلك نجد أن إسماعيل قد عني بالتعليم عنابة تامة فزيادة عدد المدارس التي أنشئت من ١٨٥ مدرسة في سنة ١٨٦٢ م ، إلى ٤١٧ في سنة ١٨٧٥ م . وفي هذه السنة بلغ عدد الأساتذة إلى ٦٤٨ ، وعدد الطلبة ١٤٠٩٧٧ ، فزاد عدد المدارس على عدها في السنة السابقة ١٠٧٢ مدرسة ، وعدد الأساتذة ١٦١٥ أستاذًا باهظة ، وعدد الطلبة ٢٧٧٢٢ طالباً، واقتضى ذلك نفقات وليس معقولاً أن يكون الدخل الاعتيادي كافياً لتحمل تلك النفقات التي كانت تزداد بسرعة هائلة ^١ .

^١ بيراكارليس، إسماعيل المفترى عليه، ترجمة فؤاد صروف ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٩٣٢ م ؛ نقلًا عن دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر: ص ٢٨٢ القاهرة ١٩٣٢ م

عبد القادر دامولا الكاشفري رائد الصحوة الإسلامية في آسيا الوسطى

* الأستاذ وسيم أحمد الندوبي

إن مدينة كاشغر دوراً بارزاً وتاريخاً مشرقاً في تطوير العلوم الإسلامية والفنون الاجتماعية والعلوم الطبيعية واللغة العربية وأدابها . وإنها أنجبت عدداً كبيراً من الأدباء والشعراء وال فلاسفة والعلماء والمفكرين أمثال الفارابي وب يوسف خاص حاجب ومحمد بن الكاشفري وعماد الدين الكاشفري وحسين خلف الكاشفري وعبد الرحمن الكاشفري و عبد القادر دامولا الكاشفري وغيرهم . وأسهمت هذه الشخصيات إسهامات جليلة في مجالات العلوم والفنون والآداب دراسةً وتأليفاً ونشرًا وصيانةً وكل منها يحتاج إلى عناية خاصة لأجل إسهاماته وخدماته العلمية والأدبية ، ولا يزال الدارسون والمحققون يقومون بهذه المهمة بجد وإخلاص ، ومن تلك الشخصيات العبارقة عبد القادر دامولا الكاشفري الذي ترك سمات بارزة في الأدب العربي بوجه خاص .

نبذة عن حياته :

العلامة عبد القادر دامولا الكاشفري كان مفكراً إسلامياً كبيراً وزعيمأً روحيأً ، ورائدأً للصحوة الإسلامية في آسيا الوسطى ومؤسسأً للمعارف الإيغورية الحديثة وعالماً وطنياً وشاعراً ومصلحاً اجتماعياً وقد أطب في مدحه الشيخ حسين أكبر تجلن (١٨٥٦ - ١٩٢٥م) قائلاً : " إن عبد القادر دامولا يشبه في اللطافة كالروح ، وفي قوته العزيمة كالجبل ، وفي كثرة علومه كالبحر " .

ولد عبد القادر بن عبد الوارث الكاشفري في مركز آرتوش التابع لمدينة كاشغر في عام ١٨٦٢م ، وتعلم دراسته الابتدائية في بلده آرتوش ، ثم درس في دار العلوم العالية المعروفة بـ " المدرسة الملكية " في كاشغر . وبعد فترة

* جامعة جواهر لال نهرو، بندي دلهي

وجيزة سافر إلى بخارى لإكمال دراسته العليا والتتحقق هناك بـ "مدرسة عبد العزيز خان" ، فتوسّع في معرفة العلوم الشرعية واللغة العربية والفارسية والأردية وأدابها ، وبعد إكمال دراسته في بخارى انتقل إلى سمرقند واشتغل هناك بالتعليم والتدريس ، وألّف هناك كتبًا قيمة مثل "العقائد الضرورية" و "العبادات الإسلامية" ثم سافر لزيارة قازان واستبول ورجع بعد فترة وجiezة إلى كاشغر .

ويجدر الذكر أنه كان أثناء إقامته في مدينة بخارى على اتصال وثيق بعلماء آسيا الوسطى وعلماء العرب أمثال الشيخ محمد عبد وجمال الدين الأفغاني والعلامة أنور شاه الكشميري وتأثر بأفكارهم الإصلاحية الحديثة واقتفى آثارهم .

عندما رجع الشيخ عبد القادر دامولا سنة ١٩٠٧م إلى كاشغر اشتغل بالتدريس وقام بوضع المنهج الجديد الإصلاحي ، وسهل العلوم الإسلامية على الطلاب ، وجمع في المنهج الجديد ما بين العلوم الإسلامية والعلوم الحديثة ، وألّف كتاباً عديداً باللغة الإيفورية التركية تسهيلاً للطلاب في معرفة العلوم الإسلامية . وأصبح كل ذلك سبباً لصيته وشهرته داخل البلاد وخارجها .

الصعوبات والمشاكل التي لاقها في وضع المنهج الجديد الإصلاحي حيث ركز جهوده الحثيثة في الجمع بين القديم النافع والجديد الصالح . ويجدر بالذكر هنا أنه لما رجع العلامة إلى وطنه العزيز "كاشغر" بذل أقصى جهوده في سبيل ترويج المنهج الجديد وتسهيل العلوم الإسلامية للطلاب بوجه خاص وللناس بوجه عام ، وحاول أن يحصل الطلاب على العلوم الإسلامية والحديثة معاً ويترقوا على سلم الحياة ويكونوا نموذجاً مثالياً في الدنيا والآخرة كلّيهما ، ففضحت الحكومة آنذاك ، لأن العلامة ألف كتاباً شتى باللغة الإيفورية التركية تسهيلاً للطلاب في معرفة العلوم الإسلامية ، ونتيجة لذلك كثُر إعجاب الطلاب والتقىوا حول العلامة للتعليم والحصول على الفوائد الدينية والأخروية . ولكن كل ذلك أثار غضب الحكومة ، لأنها لم ترض بكل جهود العلامة الذي كان يحاول إيقاظ الشعب وفتح عيونه وتعريفه على حقوقه الإنسانية ، ولكن بالعكس من ذلك كانت تريد الحكومة أن ينام الشعب ويبقى جاهلاً بكل ما يحدث في العالم .

ويجدر بالذكر هنا أن جماعة المتصوفة والمعصبين الجاهلين كانوا متقررين إلى الحكومة ومتمسكين بالمنهج القديم الصعب الجامد المتخلط ما بين الفارسية والعربية ، وقد حاولوا بذلك أن يتمسكوا زمام قيادة الشعب فوصفوه بأوصاف مثل " التجديدي " و " الإلحادي " ونشروا بين الشعب السذج الفتن والإشاعات بالعلامة ، فأعلنوا الحرب على العلامة ومنهجه الجديد ، ولكن لم تكن تلك المؤامرة الفتاكه ضده تمنعه عن اختيار المنهج الجديد وبذل جهوده الحثيثة في سبيل ذلك . وأخيراً كل ذلك نتج عن اغتياله للتخلص من منهجه عام ١٩٢٤ م .

سافر عبد القادر دامولا إلى البلدان المختلفة ، ومن بينها تركيا والشام والعراق والجهاز ثم توجه إلى مصر ومكث هناك ثلاثة سنوات ، واجتمع بالإمام محمد رشيد رضا صاحب تفسير " المنار " وتبادل معه الآراء ، وعرّفه أوضاع بلده وأحوال المسلمين من التخلف والجهل ، واشتراك معه في تحرير مجلة " المنار " كما اشتغل في مصر بتحصيل علم الرياضيات والفالك والصحافة . كما اشتغل أيضاً في رئاسة تحرير مجلة " المعهد الديني " في مصر آنذاك لمدة ثلاثة سنوات ، ثم رجع العلامة من مصر إلى بلده عام ١٩١٩ م وسعى سعياً حثيثاً في منهجه الإصلاحي وبذل قصارى جهوده ليقاظ الشعب . وخلال مدة قصيرة عُين قاضياً ورئيساً للقضاء الأعلى في كاشغر ، وسلك في المنهج الإصلاحي الجديد وعمل في تحقيق أهدافه بكل جد وإخلاص ، ونشر كتبه العديدة في العقيدة والعبادات الإسلامية والصحوة الإسلامية ، واتخذ منهاجاً وسطياً وأدخل في التعليم العلوم الحديثة في عصره ، كما أسس مدارس في كل مدينة وقرية وفي كل زاوية ، حتى جعل كل مسجد من مساجد البلاد مدرسة مستقلة بذاتها للأئمة والمؤذنين . وأغتيل سنة ١٩٢٤ م على يد الخونة والمتآمرين عن عمر ناهز ٦٢ سنة رحمة الله تعالى .

أثاره :

قام دامولا بإسهامات جليلة في مجال العلوم الإسلامية والأداب العربية وألف كتاباً قيمة كثيرة منها :

- ١ العقائد الضرورية .
- ٢ العبادات الإسلامية .
- ٣ مفتاح الأدب لفهم كلام العرب .

- ٤ علم تجويد القرآن .
- ٥ علم الحساب والرياضيات الحديثة .
- ٦ بداية الصرف .
- ٧ هداية النحو .
- ٨ جواهر الإيقان .
- ٩ علم جغرافيا وتقسيم البلدان .
- ١٠ بداية أصول الحديث ومراتب الصحابة .
- ١١ إرشاد المسلمين .
- ١٢ شرح الأمالي .
- ١٣ تعليم الصبيان .
- ١٤ النصيحة إلى الأطفال .
- ١٥ رسالة "النصيحة للعامة" .
- ١٦ قصة "مناظرة الفواكه" .
- ١٧ ديوان "كليات مخمس" .

ترجم العلامة كتاب "كلستان" للشيخ سعدي الشيرازي من الفارسية إلى اللغة الإيفورية . والجدير بالذكر أن بعض كتبه محفوظة في المكتبة الأزهرية الكبرى مثل "جواهر الإيقان" ، و"إرشاد المسلمين" ، و"شرح الأمالي" .

المراجع والمصادر :

١. أعلام تركستان ، محمد أمين قاسم ، طبع بمكة ٢٠٠٨ م .
٢. قواعد اللغة الإيفورية ، عبد الرحمن جمال الكاشغري ، ط . ٢٠١٠ .
٣. المفكر الإسلامي عبد القادر دامولا ، محمد طورسون صديق . مجلة "بولاق" العدد (٤) من سنة ٢٠٠٧ م
٤. سيرة موجزة لعبد القادر دامولا ، يالقون روزي . مقال منشور ٢٠٠٢ م
٥. حول ثلاثة كتب للعلامة عبد القادر دامولا ، مجلة المعرفة ، موقع المعرفة.
٦. العلم لا يموت والعالم لا يموت ، عبد الرحيم ثابت ، ط . ١٩٩٩ م
٧. قصة حول العلامة عبد القادر دامولا ، خوير تيمور ، ط . ٢٠٠٧ م

إسهامات اللغة العربية والإنجليزية في مجالات الثقافة في كيرلا

الأستاذ مرتضى شكيل ك . كدامري (كيرلا)

المقدمة :

قد تطورت اللغات في كيرلا على كر الدهور ومر الأيام لا سيما اللغة العربية واللغة الإنجليزية ، لأنهما قد بذرت بذورهما منذ عهد عريق في القدم ، وقدم الإسلام في كيرلا مع ورود الوفود من العرب التجار الذين كانوا يشترون من الهند الذخائر النفيسة كالقلفل والهيل والزنجبيل ، وإن الطقس المعتمد في كيرلا جعلهم حريصين على المكث في هذا البلد الطيب ، ثم طفقوا ينشرون الشريعة المصطفوية وبلغون الدعوة الإسلامية إلى أهالي الهند ، وكانوا يقبلون الجزية من العرب فقط ، فيرضون بها من غير أن يتدخلوا في أمورهم الداخلية . وبعد تمام الدعوة الإسلامية سلكوا مسلك الدعوة اللغوية لأن تعليم اللغة العربية من أهم دعائم الدين الإسلامي ، وقد أوجبت الشريعة الإسلامية أن الأذكار والأدعية التي يلهم بها المسلمين في الصلوات ينبغي أن تكون في اللغة العربية ، لأن العربية هي لغة الجنة ولغة القرآن ، وقد أصبحت الثقافة العربية عن طريق اللغة العربية سارية إلى أذهان الناس في كيرلا سريان الماء في العروق وسريان الكهرباء في السلوك .

كانت مناهج نشر الإسلام والنصرانية في كيرلا مختلفة تجري على طريقتين متتوتين : الطريق الأولى : كان منوال العرب المسلمين في الدعوة الدينية أن يتعلم الناس الذين استعدوا لدعوتهم اللغة العربية مع إشاء الإسلام فيهم لعظمة اللغة العربية وأهميتها في الإسلام . الطريقة الثانية : كان منهج النصارى في نشر ديانتهم أن يترجم الإنجيل أولاً إلى لغة البلد الذي نزلوا فيه للدعوة ، ثم يترجموا الكتب المؤلفة في النصرانية إلى لغة ذلك البلد ، ومما

سهل المذيعين لهاتين اللغتين في كيرلا أن كانت لغة مليالم ليس لها ثقافة ذاتية أصلية لتكونها من اللغات العديدة وقبولها لثقافات كثيرة.

تحريفات اللغات العربية في ولاية كيرلا :

صارت ولاية كيرلا بقدوم اللغة العربية مسرح التغييرات في ثقافاتها، وقد صنفت مصنفات عديدة في علوم شتى في اللغة العربية مما فتح قلوب القارئين بها ، وفتحت هذه الكتب التي صنفت بأيدي العلماء الكرام أبواب التغيير في ثقافة كيرلا سواء كان في ميادين الدين أو السياسية ، وما أعظم النور الذي عمته هذه الكتب العربية في مجال الفكر في تراب مليالم .
تحفة المجاهدين :

قد ألفها السيد زين الدين المخدوم في القرن السادس عشر ، وكان من أهدافها النبيلة إثارة قلوب الناس ضد حركات البرتغاليين الذين قدموا في كيرلا لتشييت هيمتهم على أهل الهند ، وكان المسلمون يتحملون المشاق الشديدة من خلال أيديهم الغليظة ، وبعد هذا الكتاب مصدرأً هاماً ومرجعاً فريداً في تاريخ وقائع مليبار ، ويعد هذا الكتاب أكبر مصنفات ألفت في اللغة العربية في كيرلا ، ويعول المؤرخون وعلماء الدين على هذا الكتاب في أكثر شؤونهم لاشتماله على الفنون المتعددة ، وأثار هذا الكتاب عواطف الشعب المظلوم بأيدي البرتغاليين وسبب إلى المعارك الدموية التي قبلتها البرتغاليون من الأمة المسلمة في ولاية كيرلا .

السيف البtar:

وقد صنف السيد علوى المنفرمي (١٧٥٢-١٨٤٠م) كتابه "السيف البtar" لإثارة أخيلة المسلمين ضد السيطرة الغربية على كيرلا ، وقد نجح هذا الكتاب في إنزال الناس في المعركة الجليلة ضد اليمونة الغربية ، ويقال : إن هذا الكتاب سبب في نشوب حركة الخلافة (Khilafath Movement) وكانت من أكبر الحروب التي جرت بأيدي المسلمين على اليمونة الغربية .
"محى الدين مالا" :

إن القاضي محمد بن عبد العزيز صنف قلادة أبياته ، المسمى "محى

الدين مالا" في سنة ١٦٠٧م ، وقد ألفه في اللغة المليالية ، لكن كتبه بالحروف العربية ، ويعرف هذا الفن في كيرلا بالعربية المليالية ، وقد احتوى كتابه على علم التصوف مع التركيز الخاص على الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني (قدس سره) ، الذي عاش في بغداد في القرن الخامس ، وكان تصنيف هذه الأبيات من خلال الحركة الصوفية في كيرلا كما ألف ازوجين (Ezhuthachan) أبياته السلوكية ، وكان كيرلا في هذا العهد مفعماً بالمقاحمات التي جرت بين المtowerين والغرياء المحرضين على السيطرة في الهند ، ولا يزال هذا الكتاب مقرراً من بين المسلمين حتى في العصر الراهن لعظمته وغلبته على سائر الكتب .

إنجازات اللغة الإنجليزية في ثقافة كيرلا :

إن الغربيين والأوربيين يسابقون في تعميم اللغة الإنجليزية في شتى أنحاء العمورة ، ومن أهم مقاصده العزيزة نشر ثقافتهم في جل بلاد العالم عن طريق لفتهم المشهورة ، وقد أعلوا درجة لفتهم إلى القمة العالمية الشامخة لتنفيذ هدفهم أي إفشاء ثقافتهم في مختلف أصقاع العالم ، وقد نجحوا في إعلاء درجة لفتهم إلى درجة عالية ، وإفشاء ثقافتهم ، لأن ثقافتهم ملأتهم حركة ونشاطاً حتى قبلوها بعين الرضا والقبول ، وإن الثياب المبلونة والأطعمة المتعددة قد جاءت من بلاد الغرب ، فصار الناس الجهلاء الفقراء يقبلونها لقلة معرفتهم بدينهن وعدم تدبرهم في مناهجهم الذاتية ، ومن النشاطات التي شاعت بها اللغة الإنجليزية في كيرلا أعمال "باسل ميشن" التي قد قدمت في كيرلا في سنة ١٨٤١م ، وأسمست مدارس عديدة في مليبار تعلم فيها اللغة الإنجليزية ، وأصبح الطلاب الذين تعلموا من هذه المدارس نابغين في الفنون العديدة ونابغين في حقوقهم لا سيما الحقوق التي طارت أدراج الرياح لسيطرة الشيوعية في هنود كيرلا ، فصف الناس صفوها للمحاربة على الشيوعية ، وأن "باسل ميشن" هم أسبق من أسسوا الصحائف اليومية الأولى في لغة ماليالم ، وأول من أسسوا المصانع المتعددة .

الأسباب التي هبط بها المسلمون في حضيض الانحطاط في التخلف التربوي :

كان المسلمون يعيشون عيشة هادئة في كيرلا حتى إلى آخر القرن الخامس عشر ، ولما استقر قدموا واسكود كاما (Vascoda Gama) في ساحل كيرلا سبب ذلك فتح الباب إلى سيطرة كيرلا للفرياء ، وحمل المسلمين المتابع والمشاغب من البرتغاليين والبريطانيين الذين قدموا إلى كيرلا لتبني سيطرتهم على الهند ، فطفق سادة المسلمين وقادتهم أن يقاطعوا البريطانيين في جميع أمورهم لا سيما في لفتهم الإنجليزية ، فترك المسلمين تعلم اللغة الإنجليزية ، وكانوا ينظرون إليها نظرة ازدراء واستهزاء ، ولكن للأسف صار إهمال اللغة الإنجليزية سبباً في تخلفهم التربوي في جميع المجالات ، لأن النروع في العلوم كعلم المنطق والفلسفة والهندسة قد حدث فيه تطورات وتطورات فيه حادثات لم يحتوا عليها الكتب العربية التي يدرس بها في حلقات الدروس في المساجد وفي الصنوف في الكليات والجامعات ، وإنما نرى اليوم من التطور العلمي للأمة المسلمة ، فذلك بعد إقبال الأمراء المسلمين وأقبالهم في تعلم اللغة الإنجليزية والعلوم المادية في المؤسسات الدينية حتى برع المسلمون في الأوساط العلمية والأوضاع الأدبية.

خاتمة :

وبالجملة ، إن كيرلا أرض مزدهرة بحضارات متعددة ، لأن لفتها لا ترتكز على ثقافة ذاتية ، بل تعول على الحضارات الأجنبية التي تصدر من اللغات المختلفة ، ومن أهل كيرلا من يعتادون للعادات الأوروبية ، ومنهم من يختلفون بالأخلاق الإسلامية النيرة ، ومنهم من يتبعون الثقافة الهندية ويتدربون بدينيها ، وإن تعلم اللغة باب إلى معرفة ثقافة الأمة الذين يلهجون بها ، ومن تعلم العربية يتعرف بها الثقافة العربية ، ومن تفقه في الإنجليزية يتوصل بها إلى الحضارة الإنجليزية .

لله ملائكة طلاق ملائكة طلاق ملائكة طلاق

الأخ طارق الأكرمي الندوى

يا خير من وطئ الحصى أقدامه
من هديه هدى السماء وريحه
يا أسوة يا قدوة يا من به
يا خاتم الرسل الكرام وخيرهم
أعلى الخلقة محتدا وأرومة
بالنور أرسل والكتاب مبيناً
فالله أظهر دينه كره العدا
من كان من أهل الإطاعة فاز في
أو كان جهلا بالعداوة مفعماً
وابن الچحافة خير من تبع الهوى
عمر الحقيقة والعدالة بعده
عثمان ذو التورين ثم المرتضى
صلى عليك الله خير صلاته
صباحاً مساءً غدوة وعشية
والآل والصحاب الكرام وعتره
والتابعين من الورى الأطهار

أكثر من الصلوات تحظى بجنة
أكرم بها من حنة يا طار

ادخلوا في السلم كافرٌ

محمد فرمان الندوبي

الإسلام دين الفرد والمجتمع ، دين الخاصة وال العامة ، دين الرجال والنساء ، دين المسجد والسوق ، دين الدنيا والأخرة ، دين يشمل قضيّاً الدنيا ، فيقدم لها حلاً ناجعاً ، ورداً مقنعاً ، ولا شك أن الدين دار العمل ، والآخرة هي دار الجزاء ، فكل ما عمل الإنسان في الدنيا من عمل يرى نتيجته في الآخرة ، قال تعالى : فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يُرَأَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يُرَأَهُ .
(الزلزال : ٨ - ٧)

كان الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل ، لكن شريعتهم كانت مختصة بأزمنتهم ، فإذا جاء زمان آخر تبديل الشريعة ، وتغير القانون وفقاً لقوله تعالى : إِنَّكُلَّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا (المائدة : ٤٨) ، لكن الدين ما زال واحداً نظراً إلى قوله صلى الله عليه وسلم : (الأنبياء إخوة من علائٍ ، وأمّهاتهم شتى ، ودينهن واحد) (صحيح مسلم : ٦٢٨١) حتى بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان على الملة الحنيفية البيضاء ، ليها كنهاها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، وكانت سمة هذه الملة الجمع بين الدين والدنيا ، وبين الروح والمادة ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم وحد رجال الدين ورجال الدنيا في صفة واحد ، وعلم العالم بأسره هذا الدعاء : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . (البقرة : ٢٠١)

قد مرت في التاريخ عمود كان الخليج بين الدين والدنيا واسعاً ، والفجوة بين عالم الروح وعالم المادة متّسعة ، وكان الناس بين مسكنين منفصلين ، وكان شعار هذه العهود : أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وأعطوا ما لله لله ، وجرت بهذا التقسيم الجائز مناورات وحروب بين رجال الدين ورجال الدين ، وإن قضيةمحاكم التفتيش ليست بسر لدى أهل العلم ، وقد روى التاريخ أن فصل الدين عن الدنيا أتى بعجائب ، وصدرت منه مضحكات ومبكيات ، بحيث إن رجل الدنيا كلما صدر منه ذنب كان يأتي إلى رجل الدين ، ويعرف أمامه بخطئه ، ويقدم إليه نقوداً ، فيكتب له صك المغفرة ، فترتاح نفس رجل الدنيا أن ذنبه قد غفر ، فكان رجال الدنيا أحجاراً في شئونهم الدنيوية ، وأمورهم الشخصية ، وكل ذلك جراء فصل الدين عن

الدنيا . يقول الدكتور محمد إقبال : فلما انفصل الدين عن الدولة ، جاءت الشهوة ، وشاع الهوى ، وساد قانون الغاب . (رواية إقبال للعلامة الندوى) جاء الإسلام ، وملاً هذه الفجوة بين الدين والدنيا ، وأنشاً في قلوب الناس أنه ليس هناك فرق بين أعمال الدين وأعمال الدنيا ، فكل عمل ابغي به رضا الله تعالى ، اعتبر عمل الدين ، حتى المعاملات والشتون العائلية التي تشف منها روح المادة الخالصة ، تتحول إلى أعمال الدين ، وذلك بنية صادقة ، وقلب منيب إلى الله تعالى - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما الأعمال بالنيات . (رواة البخاري) جمع الصحابة الكرام رضي الله عنهم بين الدين والدنيا ، فكأنوا قادة العالم وسادة الأمم ، وحينما انحصر الدين في بعض العبادات تخلى المسلمون عن القيادة ، وصاروا في مؤخر الركب ، وابتلوا بالخزي والندامة في الدنيا ، ولكن ماذا سيكون مصيرهم في الآخرة يتحدث عنه القرآن الكريم : **أَفَتُؤْمِنُونَ بِيَقْصِدِ الْكُفَّارِ وَتَكْفُرُونَ بِيَعْقُضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعُلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْنٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ . (البقرة : ٨٥)**

إذا فارنا بين الدين الإسلامي وحياتها اليومية وجدناها توافق الدين الإسلامي فقط في العبادات : في الولادة والنكاح والطلاق والصلادة على الميت ، وتخالفه في الوظائف والعقود والبيوع ومحاذيل القرآن ، فكم من أموال تتفق هدرا ، وكم من أعراض شتهك ، وكم من حقوق ثضاع ، وكم من قوانين تُخرج ، وكم من نظم حديثه تُوضع ، فقد الأمان والسلامة من الفرد والمجتمع ، ولن ينال الإنسان الطمأنينة والأمن إلا بتطبيق شريعة الإسلام على نفسه - على أقل تقدير - وبإ يصلها إلى الناس كافة .

ال الحديث عن تطبيق الإسلام يوحى إلى ذهن الإنسان أن تكون هناك حكومة ، تؤيد هذه الفكرة وتتفذ هذه النظرة ، ولا شك في ذلك ، لكن السبيل الميسور الذي سلكه بعض الدعاة والمصلحين في بعض الدول الإسلامية ، ووجدوا شمار الدعوة مأة في المائة هو أنهم يبلغون الإسلام إلى أصحاب الحكومات ، فيتأثرون به ، وينصرون في بوقته ، ويشرعون نظاماً يوافق تماماً الشريعة الإسلامية ، وقد جاءت الحكومة منقادة إلى علماء الدين تجرّأ ذيالها ، وكانت تحفة ربانية إلى الدعاة المخلصين ، فهذا هو أقوم طريق للخروج من الأزمات وتطبيق الإسلام على الفرد والمجتمع ، بذلك يتحقق معنى الجمع بين الدنيا والآخرة ، وذلك ما قال الله تعالى في القرآن الكريم : يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كآفة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إله لكم عدو مُبين . (البقرة : ٢٠٨)

إلى رحمة الله تعالى

(١) المحامي عبد الرحيم القرishi في ذمة الله تعالى

أفادت الأنبياءاليوم بوفاة محامي الهند الكبير السيد عبد الرحيم القرishi رئيس مجلس تعمير الملة للهند ، والسكرتير المساعد لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند ، بعد ما أصيب بمرض ، وجرى علاجه في أحد المستشفيات في حيدرآباد ، ولكنّه لبى نداء ربه وغادر إلى الآخرة ، فإننا لله وإنما إليه راجعون .

وقد أدلت شخصيات هندية كبيرة ببيانات حول وفاته ، وقالوا : إن وفاته خسارة كبيرة لا لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند بل الواقع إنها خسارة للأمة الإسلامية بكمالها ، هكذا قال سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوبي رئيس ندوة العلماء العام ، ورئيس هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين . كما عبر عن أسفه الشديد على الحادث شقيقه سعادة الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوبي ، وقال فضيلة الشيخ أسرار الحق القاسمي عضو البرلمان الهندي : إن وفاة السيد عبد الرحيم القرishi خسارة عظيمة للأمة الإسلامية جموعاً في الهند .

والجدير بالذكر أن أعضاء الهيئة قد أبدوا أسفهم الشديد على وفاة السيد القرishi ، وعبروا عن انطباعاتهم نحو هذه الخسارة الكبيرة ، التي أصيب بها المسلمون على مستوى الأمة الإسلامية .

كانت شخصيته متعددة الجوانب في إنجاز العمل الإسلامي من خلال هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في هذه البلاد ، وكان من كبار المحامين ، مطلعاً على جميع قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين وغيرهم ، كما كان ذا اطلاع كبير على جميع مناحي القانون والدستور البريطاني الهندي ، فكان يواجه جميع قضايا الهيئة ، والمحاكمات التي كانت تجري في محاكم الهند الكبرى ، في هذه القضية المهمة ، التي تعتبر قضية الحياة والموت أو بتعبير آخر قضية "لا" و "نعم" .

لربّ أن وفاة المحامي الكبير عبد الرحيم القرishi ، مصاب عظيم

لالأمة الهندية بكمالها ، وإن خدماته المخلصة سوف تُسجل في تاريخ هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في هذه البلاد بحروف من ذهب ، ويمداد من نور . أما هذه السطورة فإنها بمثابة نبأ وفاته ، التي حدثتاليوم صباحاً يوم الخميس ٣ / من شهر ربيع الثاني ١٤٣٧هـ الموافق ١٤ / يناير ٢٠١٦م . تقدمه الله بواسع رحمته ، وغفر له زلاته ، وتقبل خدماته ، وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه والأمة الهندية الإسلامية بكمالها ، الصبر الجميل والدعاء الخالص للمغفرة .
 (يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعني إلى ربِّك راضية مرضية . فادخلني في عيادي . وادخلني جنتي) .

(٢) فضيلة الشيخ عبد الله المدنى إلى رحمة الله تعالى

أفادت الأنباء يوم ١٢ / من شهر ربيع الأول لعام ١٤٣٧هـ بوفاة فضيلة الشيخ عبد الله المدنى النبىالي في بلده جندا ناغر نيبال يوم ١١ / من شهر ربيع الأول ١٤٣٧هـ الموافق ٢٢ / ديسمبر ٢٠١٥م وكان نبأ الحادث مفاجأة كبيرة بعثت أسفًا وأسى بالغين ، فإنما الله وإنما إليه راجعون .

لقد كان الراحل الكريم من علماء نيبال البارزين وكان قد تلقى دراسته في العلوم الإسلامية في دار العلوم لندوة العلماء ، ثم انتقل إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وانتقل منها بعد التخرج كداعية من حيث مندوب دار الإفتاء في عاصمة نيبال " كاتمندو " حيث أقام مدة لا بأس بها ، كداعية ، ثم أنشأ مدرسة للبنات في بلده جندا ناغر ، وأصبح رئيسها وكان مع ذلك يدرس فيها علوم الدين للطلابات ويقوم بالتنظيمات الإدارية ، ثم أتيح له أن يكون عضواً لجمعية أهل الحديث في نيبال ورئيس تحرير مجلة " نور توحيد " الشهرية التي كانت تصدر من جامعة خديجة الكبرى للبنات في بلده .

ولا تزال هذه الجامعة في نيبال من أقدم الجامعات الإسلامية للبنات ، وقد زرتها في تاريخها البدائي مع الشيخ المرحوم عبد الله المدنى ، كان الفقيد يمثل علماء نيبال في المؤتمرات والندوات ، وكانت له علاقة وطيدة مخلصة بجمعية علماء أهل الحديث في الهند ويرئيسيها فضيلة العلامة أصغر علي إمام مهدي ، لم يكن يدور في خلد أنه سيغادر إلى الآخرة في حالة شبابه ، ولكن

لله حكمة مع عباده المخلصين ، وكان نشيطاً في أداء واجبه وداعية مخلصة في بلده ومشرفاً على العمل الإسلامي ، فأنشأ جمعية باسم مركز التوحيد في نيبال ، وقد ناب عنه في أعماله شقيقه عبد العظيم حفظه الله وأطال بقائه لخدمة الدين والعلم .

تقبل الله تعالى أعماله المخلصة ورحمه رحمة واسعة ، وغفر له زلاته وأسكنه فسيح جناته وألم أهله وذويه الصبر والسلوان .

(٣) العلامة إسحاق بتي في ذمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله يوم السبت ١١ / من شهر ربيع الأول لعام ١٤٣٧ هـ الموافق ٢٢ / ديسمبر ٢٠١٥ م العلامة إسحاق بتي الذي كان من مواطنني ولاية بنجاب في الهند ، فإنما لله وإنما إليه راجعون ، كان مؤرخاً أدبياً وعالماً يقتفي آثار مولانا أبو الكلام آزاد في الأسلوب والدراسة الإسلامية ، ثم هاجر إلى باكستان حيث نال شهرة كبيرة من خلال أعماله الدينية وإنجازاته العلمية ، فإن قائمة أعماله التأليفية والكتابية طويلة ، تبلغ إلى ٤٠ / مؤلفاً ، قد ترجم كتاب الفهرست لابن نديم بالأردية ، وإن مؤلفاته في الواقع تراث علمي وديني جليل خلفه لأجياله اللاحقة من أهل العلم وطلاب العلوم الإسلامية وكان مثلاً لما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : (العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم)

تغمد الله تعالى بواسع رحمته ، وأوسعه بالمفقرة وتقبل أعماله وأسكنه فسيح جناته ، وألم الجميع الصبر ، ويوفقهم للدعاء والاستغفار ، والله غفور رحيم .

(٤) السيد محمد علي جعفري إلى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى السيد محمد علي جعفري الموظف السابق في شعبة التعمير والترقي لندوة العلماء ، يوم الخميس ٢٨ / من شهر ديسمبر ٢٠١٥ م الموافق ١٧ / من شهر ربيع الأول ١٤٣٧ هـ ، فإنما لله وإنما إليه راجعون .

كان الراحل الكريم مريضاً وظل طريق الفراش إلى مدة ، ولله خدمة سابقة في مجال التعمير والترقية في ندوة العلماء ، قام بها إلى فترة مديدة ، ثم استقال نظراً إلى ضعف صحته ، وعاش مع أسرته في مدينة لكهنو .

صلى عليه جماعة كبيرة من طلاب دارالعلوم وأساتذتها في ساحة دار

العلوم الواسعة ، وتم دفنه في مقابر المسلمين في منطقة " دالي غنج ".
رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له زلاته ، وأكرمه بجناته ، وألهم أهله
وذويه الصبر والسلوان .

(٥) الدكتورة السيدة عطية بنت خليل في ذمة الله تعالى

غادرت إلى دار الآخرة الدكتورة السيدة عطية بنت خليل في اليوم الرابع من شهر يناير ٢٠١٦م الموافق ٢٤ من ربيع الأول لعام ١٤٣٧هـ في مقرها بمدينة دبي (الإمارات العربية المتحدة) يوم الثلاثاء ، عقب نقاوه عاشتها من كبر سنها ، فقد كانت بالغاً من العمر ما يربو على ثمانين عاماً .

إنها بنت العلامة خليل اليماني الذي عرف بخليل عرب ، وأقام في جامعة ندوة العلماء إلى مدة كمدرس للأدب العربي وأستاذ للعلوم الإسلامية ، وذلك في الثلاثينيات من القرن المنصرم ، وقد استفاد منه وتلمذ عليه سماحة أستاذنا ومربينا العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي (رحمه الله تعالى) .

وقد كان الشيخ خليل عرب يقيم في مدينة لكونه مع أهله وبينه العزيمة الراحلة عطية خليل ، التي تعلمت العلوم الإسلامية واللغة العربية على والدهما فكانت بارعة في العلوم الإسلامية واللغة العربية وكانت قد تعلمت اللغة الأردوية كذلك ، وقدر لها أن تتزوج في مدينة لكونه مع الأديب البارع افتخار أعظمي ، وفي خلال إقامتها في لكونه كانت تزور ندوة العلماء وأهلهما وعوائل الأساتذة فيها ، فكانت مجلة مكرمة في الأسر والبيوت ، وقد رزقت بنتاً من زوجها الأول ، ثم اتفق لها أن تغادر الهند إلى باكستان مع أسرتها وتنقطع علاقتها عن الزوج الأول ، فتزوجها رجل مثقف كان قاضياً في محكمة كراتشي ، وعاشت معه حتى سُنحت لها فرصة التدريس في جامعة كراتشي وعيّنت رئيسة قسم اللغة العربية فيها ، ومع قضاء مدتها في هذا المنصب العلمي توجهت مع أبنائها إلى دبي دولـة الإـمـارـات حيث عاشت مع أبنائـها وأسرـتهم ، وخلال إقامتها في دبي سافرت إلى لكونه لتقديم سنة التعزية على وفاة العـلامـة النـدوـي رـحـمـهـ اللـهـ وـلـزـيـارـةـ نـدوـةـ الـعـلـمـاءـ وـأـفـرـادـ عـائـلـةـ سـماـحةـ أـسـتـاذـناـ الجـلـيلـ رـحـمـهـ اللـهـ عـلـيـهـ ، فـتـرـزـلتـ فـيـ بـيـتـهـ حـيـثـ اـسـتـقـبـلـتـهـ الأـسـرـةـ بـغـايـةـ مـنـ الإـجـلالـ وـالـتـكـريـمـ ، وـخـلـالـ هـذـهـ الإـقـامـةـ زـارـتـ دـارـ الـعـلـمـاءـ وـأـسـرـ بـعـضـ أـسـاتـذـتـهـ مـنـ كـانـتـ

لها بهم صلة عن طريق والدها العلامة الشيخ خليل عرب اليماني رحمه الله . وبعد مدة رجعت إلى أبنائها المقيمين في دبي ، وظلت قوية الصلة بندوة العلماء ورجالها وفضلاء الندوة المقيمين في دبي ، وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ عبد الحميد الندوبي إمام وخطيب مسجد السلام فيها ، وكلما سُنحت فرصة لأنباء الندوة أن يسافروا إلى دولة الإمارات كانوا يزورونها في بيتها للتسليم عليها ، فكانت ترحب بهم وتسألهم عن أحوال وأبناء العلامة الندوبي وأساتذة دار العلوم وتفرح بذلك .

وقد أحرزت شهادة الدكتوراه من جامعة كراتشي في تاريخ الأدب العربي ، ولم تفارق دارسة المكتبة العربية ومطالعة العلم والأدب حتى آخر أيام حياتها ، فكانت مثالاً للمرأة العربية المثقفة المحافظة على الدين والعلم والجامعة بينهما ، وكانت نموذجاً لأم مثالية قامت بتربية أولادها والبلوغ بهم إلى درجة عالية من العلم والثقافة .

تغمدها الله تعالى برحمته الواسعة ، وغفر لها تقسيماتها وزلاتها ، وأسكنها فسيح جناته ونعمتها ، وألهم أهلها وذويها الصبر على المصاب .

(٦) وفاة ابنة فضيلة الشيخ المفتى محمد ظهور الندوبي

انتقلت إلى رحمة الله تعالى فجاءه عطية خاتون ابنة فضيلة الشيخ المفتى محمد ظهور الندوبي ، رئيس دار الإفتاء بدار العلوم لندوة العلماء ، ونائب الرئيس لندوة العلماء ، صباح يوم الاثنين ١١ / من شهر يناير ٢٠١٦م الموافق ٣٠ / من شهر ربيع الأول لعام ١٤٣٧هـ ، فإنما لله وإنما إليه راجعون .

كانت الراحلة العزيزة مريضة من مدة وكانت مقيدة مع والدها لخدمته ، ول تعالجتها من خلال أطباء حاذقين في مدينة ل肯هؤ ، وكان يزورها زوجها الشيخ عبدالله الأعظمي حيناً لآخر لعيادتها وتسهيل شئون المعالجة لها ، ومن المصادرات الغريبة أنها استجمعت بالماء البارد في شدة البرد وفي وقت الصباح الباكر ، الأمر الذي سبب وفاتها ، فإنما لله وإنما إليه راجعون .

رحمها الله رحمة واسعة ، وغفر لها وأكرمها بجنتات ونعميم ، وألهم أهلها وبالدها الصبر الجميل على هذا الحادث المفاجئ . والله ولِي المتقين .